

رواية
حب بلا قلب
أحمد فريد

اسم الكتاب: حب بلا قلب
المؤلف: أحمد فريد
سنة النشر: ٢٠١٦ م
رقم الايداع: 27343 - 2016
التقييم الدولي: 978-977-236-919-5
الناشر: دار الجامعة للصحافة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
٢٠١٦ م

الإهداء..

تحت سماء غربة الوجدان والمكان.. يصبح الحب بلا قلب والقلب
بلا حب.. مجرد مسميات وراءها مسببات.

أحمد فريد

obeikandi.com



بدا الشتاء غير مسبقاً عن السنوات الماضية، الصقيع ينحدر فى جدران الأبنية القديمة، والسيول تنهمر طوال اليوم بلا توقف مما جعل أغلب ساكنى العباسية يحتمون بالأغطية الشتوية داخل منازلهم والبعض الآخر الذين دعت ظروفهم أن يضطروا للذهاب إلى عملهم والعودة منه يدفعون ثمن مجازفاتهم بالاستسلام لأمراض ذلك المناخ السيئ.. حتى القمر فى تلك الليلة توارى خلف السحب الكثيفة وترك ظلام الليل يسيطر على المكان وهو يتلقى بين الآونة والأخرى صعقات البرق والرعد ليشتيع الفزع خاصة للأطفال وسط السكون المخيف.

وقفت الأم خديجة العشرى وراء النافذة تتلصص النظر إلى الطريق المظلم وتتصفح السماء الملبدة بالغيوم وكأنها تتوسل للطبيعة أن تتوقف عن غضبتها حتى تتمكن من الذهاب إلى عملها فى اليوم التالى حيث تعمل مديرة مدرسة ثانوية للبنات فى إحدى المدارس الخاصة وهى فى أشد الحاجة للاحتفاظ بتلك الوظيفة لكى يمكنها مواصلة رحلتها مع مسئوليات الحياة التى تحملتها وحدها ثلاثة وعشرون عاماً منذ انفصالها عن زوجها المهاجر إلى السويد ولم تنقطع أخباره عنها وعن ابنتيها وذلك من خلال ابنتها الكبرى التى يحرص هو على التواصل معها دون غيرها.

ولم يكن حال ابنتها الصغرى ذات الواحد والعشرين ربيعاً أفضل منها فهي أيضاً انكششت فوق مقعدها وهي تتلفح بغطاء السرير من شدة البرد والقلق يشمل تفكيرها بشأن الصباح التالي وهي تبحث عن وسيلة للوصول إلى عملها إلى منطقة مصر الجديدة حيث تعمل سكرتيرة لرئيس مجلس إدارة إحدى الشركات الاستثمارية الكبرى ولا يمكنها التغيب ولو لساعات، خاصة وأن هيام شديدة الالتزام فى كل شىء بالإضافة لكونها تحضر لرسالة الماجستير فى الاقتصاد والعلوم السياسية.

اخترق الصمت صوت دقات ساعة الحائط التى تشير للواحدة مساء رفعت هيام رأسها بهدوء وهمست إلى والدتها متسائلة:

- ألم يراودك الإحساس بالنوم يا أمى؟!

التفتت إليها قائلة وهي تخطو نحوها:

- أجل يا هيام.. فأنا متعبة جداً وفى حاجة إلى النوم.. هيا يا ابنتى نذهب إلى غرفتنا.

الشقة غرفتان وصالة صغيرة.. الأم وهيام فى غرفة والغرفة الأخرى تخص الابنة الثانية جيهان وحدها.

وفى لحظة اتجاههما إلى غرفتهما، انفتح باب الشقة وظهرت جيهان وهى تحتذى بمعطفها الفاخر المبتل قليلاً وقد أحاطت عنقها وكتفها بفرير أبيض يكاد ينطق بثمنه المرتفع.

و.. مرقت من جانبهما وهى تردد وكأنها تحدث نفسها:

.. يا لها من ليلة.. لقد كنت أقود سيارتي وكأني أستقل لنشأً بحرياً فوق الأمواج.. تصبحون على خير.

واندلفت إلى غرفتها وأغلقتها كالعادة.

كانت الدقائق تمر برتابة مملّة والسكون يغوص في أعماق الغموض مع صوت وصدى رخات المطر فوق أرض الطريق وزجاج النوافذ، مما زاد من حدة القلق الذي تعاني منه هيام في لياليها بين الحين والآخر.

لقد عاشت هيام النصف الآخر من عمرها وهي تصارع يومياً قهر التساؤلات الغامضة التي فرضت نفسها على حياتها دون أن تصل إلى إجابات مقنعة لها.

فهى لم تلتق بأبيها نهائياً حيث تم طلاق والدتها منه قبيل إنجابها بأشهر قليلة، وعندما بدأت تدرك ما يدور حولها وهى فى عمر المراهقة لاحظت أن والدها لا يتعامل مطلقاً إلا مع شقيقتها جيهان.. فكان يستدعيها إلى محل إقامته بالسويد ويغدق عليها إلى حد الإسراف اللامتناهى، ويقوم برفقتها إلى رحلات مختلفة إلى كل بلاد العالم، وعندما تعود إليهم نادراً ما تتحدث بوضوح عن حياة أبيها، بل وكثيراً ما ألمحت بأنها قادرة على الاستقلال عنهم والإقامة فى فيلا خاصة بها فى أرقى أحياء القاهرة ولكنها تفضل الإقامة معهما وكأنها تشفق عليهما من عجز مواردهما وتفضل عليهما بذلك الإشفاق خاصة أن أبيها لا يرسل إليهم إلا بقدر ما حكمت به المحكمة من نفقة إعاشة تتناسب مع إمكاناته قبل سفره وهجرته إلى السويد.

وكثيراً ما تساءلت هيام فى حيرة عن سبب ذلك التمييز فى المعاملة بينها وبين شقيقتها بل حاولت ذلك يوم أن تواجه والدتها بأسئلتها الحائرة فلم

تجد لديها إجابات مقنعة غير إنهما انفصلا نتيجة خلافاتهما المتكررة ولا تعرف هي الأخرى أسباباً لتلك التفرقة والتباين في المعاملة. وكلما كانت تكبر هيام مع سنوات عمرها كانت تكثر معها التساؤلات وتزداد غموضاً.

فوالدتها انفصلت عن والدها وهي في ريعان شبابها فلماذا لم تتزوج من بعده طالما كان الانفصال بينهما بسبب المشاكل وبقدان الحب؟ وإذا وجدت لأمها سبباً لعدم الزواج بحجة الاهتمام بها وبشقيقتها فلماذا لم يتزوج أبوها طوال هذه السنوات من امرأة أخرى بالرغم من ثرائه الفاحش وشبابه النضر؟

وتعود ليقهرها السؤال الحائر.. لماذا هي بالأخص التي أقصاها عن حياته ولم يستجب لكافة محاولاتها سواء عن طريق شقيقتها أو عن رسائلها له.. فما الجرم الذي ارتكبه حتى يتحدد موقفه هذا منها؟!

بدأت ملامح الفجر تلوح في الأفق، بينما ما زالت هيام تتقلب فوق فراشها وهي تكاد أن تتوسل للقلق أن يرحل عن جفونها لعلها تختلس دقائق من النوم تعينها على مواصلة رحلة كفاحها اليومية.. ولكن الأرق عاندها.. وحيرتها مع الغموض راحت تكشف صفحات واقعهما الصفحة بعد الأخرى وكأنها تتابع بانوراما لذكرياتهما الحديثة مع واقعهما المليء بالاستفسارات الحائرة.

لماذا لم يتقدم أحمد فهمي للارتباط بها بالرغم من مرور أكثر من ثلاث سنوات على علاقتهما التي من المفترض أنها توحى بقصة حب كبيرة؟!

فهو شاب مثقف وخريج إحدى الجامعات الأجنبية داخل مصر ويعمل فى أحد البنوك ولا شىء يمنعه من التقدم إليها حيث إنه وحيد والديه وإمكاناته المادية التى تتناسب مع ظروفها هى الأخرى فكلاهما يمثلان الطبقة الاجتماعية التى تراقصت ما بين حد الدخل المتوسطة وما بين أعتاب الثراء.. فما الذى يمنعه إذن من تتويج علاقتهما بالزواج؟! ما هو السبب فى ذلك الغموض غير المبرر؟!.. كثيراً ما خضعت لتفسير أكثر غموضاً عندما يراودها بأنها السبب، وبأنها تضع حائلاً هلامياً بينها وبينه نتيجة لارتباطها المثير والمريب بعملها أو فى الحقيقة ارتباطها برئيس مجلس الإدارة التى تعمل سكرتيرة لديه دون أية مؤشرات أو مؤثرات يمكنها أن تستند عليها لتبرر ذلك الارتباط الوثيق.

ف رئيس مجلس الإدارة شريف سالم رجل وقور له مهابة فريدة وتصرفاته كلها معها ومع غيرها من العاملين يتوجها الاحترام والتقدير بأسلوبه المهدب وإنسانيته التى يشهد بها الجميع.. ولكن ما يقلقها هو ما يعترى وجدانها كلما التقت عيناها بنظرته، حيث ينتابها إحساس بالذوبان داخل أعماقها وتشعر بالانجذاب نحوه للدرجة التى تتمنى فيها ألا تفارقه لحظة، وكثيراً ما كانت تتقدم إليه ببعض الأوراق الخاصة بشئون عملها معه وتجد نفسها مرغمة للاستسلام لتلك النظرة الصامته التى تجمع بينهما و كأنها فى حديث طويل أحرف كلماته من نسيج الصمت وغالباً ما تجد صعوبة بالغة لكى تتخلص من ذلك الإحساس وتلك النظرات التى يفرضها اللقاء عليهما حسب طبيعة العمل بينهما، وهى لا تدرى ما هو السر فى تلك الانجذابة وأيضاً

الاستسلام لها!!! وخاصة أنها بإحساسها الأنثوى تكاد تتيقن بأنه الآخر يقاوم تلك الانجذابة الغامضة فهي تستشعره فى التفاتاته وبعض كلماته المقتضبة ونظراته المتوترة.

ولأول مرة فى هذه الليلة يتسلل إلى خاطرها تصور ما كان بعيداً تماماً عن محور تفكيرها فى السابق، وهو الاعتقاد بأن أحمد فهمى قد لاحظ ذلك التناغم الصامت الذى يجمع بينها وبين رئيسها فى العمل أثناء زيارته المتكررة لها، ولذلك أرجأ الاندفاع وراء رغبتها فى الزواج.

ذلك الخاطر المفاجئ جعلها غير قادرة على مقاومة استفساراتها الحائرة.. هل يمكن أن يتحكم الإحساس بالانجذاب إلى شخص ما فى قلوب المحبين وقرارتها؟!.. هل يمكن أن يتبادل كلاهما الحب والإعجاب فى قلوب الآخرين دون أن يشعرا؟! هل يمكن ان يتفوق نبض الصمت على كلمات الأمل وأحلام المستقبل؟!..

هل!!!

ولكنها انتبهت فجأة على صوت والدتها بجوارها وهى تلتفت نحوها قائلة:

– هل استيقظتى يا هيام؟.

أجابت بسرعة وكأنها تخفى أمراً مشيناً:

– نعم يا أمى استيقظت.. نعم يبدو أننى استيقظت.

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت منتصف النهار بقليل عندما استيقظت جيهان من نومها وهي تتنأب بعمق وكأنها تفكر في العودة إلى النوم مرة ثانية ولكنها لم تفلح في تحقيق فكرتها فتحركت من فوق فراشها ببطء وتناقل وعلى غير عاداتها كل صباح اتجهت إلى الغرفة الثانية المجاورة لغرفتها وفتحت بابها برفق، ووقفت لحظات تتأمل الفراش وهو مرتب كباقي الغرفة وقالت بصوت مسموع كأن هناك من يسمعها:

.. واحدة تذهب إلى تلاميذها.. والأخرى إلى عملها.

.. كيف يحدث ذلك في هذا المناخ العجيب!!

عادت إلى غرفتها بعد أن خاب أملها في أن تجد إحداهما لتعد لها الإفطار فهي فرصة لا تتكرر إلا أيام العطلات فقط.

وقفت أمام مرآتها العريضة تستعرض قوامها بإعجاب يقترب من الغرور. لم تكن جيهان ممن ينطبق عليهن صفة الجمال اللافت للنظر فوجهها حاد الملامح وبشرتها بلون جذع النخيل فلا هو بالأبيض ولا بالأسود ولكنه يميل للإصفرار الداكن، فهي قريبة الشبة من والدها على عكس شقيقتها « هيام » التي كادت تتطابق تماماً مع ملامح والدتها ذات الجمال المبهر.

واستطاعت جيهان أن تستغل تلك المقارنة بينها وبين (والدها) لتنفيذ

خطتها التي نجحت فيها باقتدار كبير لا يتناسب مطلقاً مع عمرها عندما بدأت في نسج خيوطها.

فعندما وصلت إلى عمر السادسة عشرة وبدأت تطرح بإلحاح أسئلتها على والدتها دون أن تحصل على إجابات مقنعة:

.. أين يعيش والدي:

.. لماذا انفصلتما؟

.. ولماذا يقاطعنا عمنا الوحيد؟!

.. ولماذا كتب علينا أن نحيا تلك الحياة شبه المعدمة في الوقت الذي تقولون فيه إن والدي واسع الثراء.

.. لماذا.. ولماذا.. ولماذا؟!!!

ولكنها كانت في كل محاولة تعود منها أكثر اضطراباً وغموضاً وتفشل في أن تستدرج والدتها لكي تخبرها بالحقيقة.

وقررت في ذلك الحين أن تخوض مغامرة بدون علم والدتها وشقيقتها الصغرى، وذهبت إلى منزل عمها الذي يقطن في محافظة أخرى بمدينة طنطا.

وكان الأقدار كانت تدفع بخطاها نحو طريق يأخذها إلى عالم آخر غير عالمها وإلى حياة غير تلك الحياة التي تعرفها وتعيشها حيث كل شيء مختلف، بل شعرت هي مما كان يفوق خيال أى مبدع.

كانت وكأنها ترى شمساً غير شمس الكون.. وليلاً لا يسكنه إلا الملائكة

بعيدا عن ضوضاء الشارع ومواء القطط التي تسكن سلم منزلها.. ونهاراً لا يستقبل إلا نسيمات الربيع الحقيقي التي رأته وعاشته فيما بعد أثناء جولاتها العالمية إلى بلاد العالم مع والدها بعد لقائها بعمها بأشهر قليلة.

فلقد أثارها الاستقبال المملوء بالشجن عند زيارتها لعمها وقد هداها تفكيرها الغريب أن تبتدع قصة من خيالها بأنها تعيش مضطهدة من والدتها التي تميز شقيقتها عنها في كل شىء.. وكيف يلقون بها على أريكة بردهة الشقة بينما يستمتعون هما بغرفة نوم مستقلة، وكيف لا تأكل مما يأكلان إلا قليلاً ولا ترافقهما في أى شأن مهما كان تافهاً.

فعلت ذلك دون أن تدري بأنها قد شقت صدر الماضى بخنجر مسموم ممزوج من أحشاء السنوات التي مضت وهي تتلفح بالغموض، لتجد نفسها أمام الحقيقة المريرة التي تعمدت والدتها أن تخفيها طوال السنوات الماضية. سمعت عن قصة الحب التي تشبه الأساطير بين والدتها وأبيها وكيف تم الزواج بينهما على غير إرادة عائلته التي كانت ترغب تزويجه من ابنة عمه. وكيف تحدى والدها الجميع من أجل أن يفوز بوالدتها. ولكن.. كانت المفاجأة عندما علمت بالسبب الحقيقي للانفصال بين والديها والتي أدركت تفاصيله من والدها فيما بعد.

حيث تحولت الغيرة الشديدة عند أبيها لزوجته إلى شكل مرضى وبدا مستسلماً تماماً إلى هواجسه حتى وصل به الأمر إلى الشك في سلوكها، وكأى عاشق غيور بدأ يفسر الأمور من حولها بالمعنى الذي يرضى خياله ومشاعره الملتهبة. حتى جاء اليوم الذي اتخذ فيه قرار الانفصال وتركها وجيهان لم

تكمّل عامها الأول دون أن يدري بأن في أحشائها طفلاً آخر قرر ألا يعترف به لكونه ثمار فسادها وخيانتها فجاءت (هيام) إلى الحياة يتيمة الأب وهو على قيد الحياة.

ولم يكن من اليسير على والدها أن يعود إلى عائلته أو يستمر في محيط الواقع الذي كان يعيش فيه مع والدتها.. وقرر الهجرة وسعى إليها حتى تمكن من تحقيقها في السويد. وبعد عشر سنوات من رحلة كفاحه هناك بدأ الثراء يسعى إليه قبل أن يسعى إليه هو.. أصبح (صفوت عامر) من أكبر الأثرياء عندما ساقته أقداره لكي يصبح قريباً جداً من أحد تجار الأسلحة العالميين في مصادفة تكاد لا تتكرر في سناريوهات الحياة وذلك عندما تصادف مروره بجوار سيارة توقفت فجأة بعدما أصيب قائدها بإغماء داء السكري واقترب منه وهو لا يعلم أنه يقترب من أحد رجال المافيا المطلوبين من العصابات قبل الحكومات ومنذ اللحظة التي عاونه فيها حتى أفاق من غيبوبته واسترد الرجل عافيته وكأنه استرد ملياراته بدأت العلاقة الوطيدة بينهما والتي وضعت والدها على نفس الطريق اللامفهوم قدرياً.. وهو طريق أثرياء الأثرياء.

ومن هنا طرأت على « جيهان » الفكرة شديدة الذكاء بأن تستثمر التشابه الكبير الذي بين ملامحها ولامح أبيها وبدأت تعمق فكرة أنها الابنة الوحيدة لأبيها وتزيد من اشتعال ميزان الشك في صدره حتى يتيقن تماماً بأنه قد اتخذ القرار السليم عندما رفض بنوة (هيام) له.

فعندما حضر والدها بعد ستة عشر عاماً إلى مصر بناء على إلحاح أخيه

ليرى ابنته الحقيقية وكان الهم الأوحدها هو قطع أوصال آخر نسيج أو أمل يربط بينه وبين شقيقتها حتى تنعم بمفردها بثراء أبيها لا بأبوتة. وهو ما تحقق بالفعل.

حيث أوهمت والدتها وشقيقتها أن والدها هو الذى سعى إليها من خلال أكثر من مرسال بما فيهم عمها.. وأنها مندهشة من الكراهية الشديدة التى يكنها لوالدتها و (هيام).. وأيضاً أوضحت فشل محاولاتها معه لكى تثنيه عن أفكاره دون جدوى.. ولم تغفل أن تبت تلميحاتها إلى والدتها بأنها قد أدركت السبب الحقيقى لقصة الانفصال.. كانت تشعر بسعادة بالغة وهى تمارس ذلك الدور المثيرو كأن من الطبيعى أن تستحوذ جيهان على أبيها بالكامل بعيداً عن الوطن والأهل والأقرباء.. و.. والدتها وشقيقتها.

سافرت معه كثيراً إلى مختلف بلدان العالم.. وأغدق عليها أكثر من أمواله التى لا حصر لها، لدرجة أنه طالبها بأن تترك المكان الذى تقيم فيه وتختار أى قصر من قصور المناطق الجديدة ويشترى لها لتعيش فيه بمفردها.. ولكنها فضلت أن تحصل عليه فى صورة مبالغ نقدية.. ثم عادت وبررت ذلك لأمها وأختها بأنها لا تستطيع الفراق عنهما، وذلك على غير الحقيقة فى أعماقها فلقد كانت تريد أن تكون ملتصقة بحياتهما لتعرف كل خطوة يخطوها خشية أن يفلت منها زمام خطتها ويفتضح أمرها فينهار المعبد الذى بنته بفكرتها الشيطانية.

عاشت معهما وهى فى علياء.. تشاركهما السكن بلا وجدان.. وتقطر عليهما الإنفاق بحذر دون إشفاق أو حنان.. لا تستمع إليهم كثيراً ولا تتحاور

معهما طويلاً.. أحاطت نفسها بشرنقة من الغموض، وأفصحت عن محاذير اشترطت بها ضمناً عليهما بالألا يقتربا منها.. لا أحد يسألها أين ذهبت ومتى عادت.. وما هو مضمون حواراتها مع أبيها أو معرفة أحواله.

ليس من حق أحد أن يوجد عليها حتى بالنصيحة.. والمقابل هو استمرار بقائها بجوارهما ومد يد العون في حدود ضيقة إذا ما احتاج الأمر لذلك من أجل توفير حياة كريمة لهما.

هكذا كانت جيهان ابنة (الواحد والعشرين عاماً) التي ابتليت دون أن تدري بعاهة شرسة أصابت وجدانها فتحولت من ابنة رقيقة إلى كيان مفزوع من كل شيء.. من أحضان والدتها ومن حنان شقيقتها.. ومن أقرب علاقاتها.. و.. من المستقبل.

تمكن منها الإحساس بالحق في كل ما لا تملكه ويملكه غيرها.. أرادت بلا مبرر أن تكسر الشموخ الذي تتميز به والدتها فأعلنت العصيان عليها مقابل بعض الأموال التي تمنحها لها لمعاونتها على مسئوليات الحياة.. وأرادت أن تذلل جمال (هيام) وتسلبها حق المتعة به أو التعايش معه، فألقت بها في دوامة الأسئلة وأمواج الغموض والحيرة من أجل الوصول لحقيقة موقف والدها منها.

نجحت جيهان في كل رغباتها. ولكنها فشلت بعنف في أن توقف هياج ذلك الوحش الغامض الذي سكن أعماقها وجعل منها مسلوبة الإرادة.. والوجدان!!



عندما تتلاحق الأحداث كالشلالات من كل اتجاه، وتحاصر الصدمات أى إنسان الصدمة تلو الأخرى بلا فوارق زمنية، وتتوحد المشاكل والأزمات والمكائد داخل بوتقة واحدة فى صورة تحالف شيطانى يتصدى عن عمد لكل نفس مسالمة.

وعندما تصبح الملامح زائفة كالسراب، والكلمات تحمل معانى هلامية غير محددة، والدموع باردة وكأنها جزيئات صغيرة من حبات الثلج.. وعندما لا تقوى الأمواج على الوصول إلى شواطئها وتغوص من جديد فى أعماق البحار المظلمة، وتتييس أوراق الورد ولا يشفع لها جمالها لكى تفوح بعطرها.. ويختفى الفجر من بين الليل والنهار، ويقف الطموح على أعقاب اليأس، وتصبح الحظى وكأنها على سير عجلة رياضية لا تتقدم خطوة ولا تتأخر خطوة.

وتتوه المشاعر فى الأعماق، ويضيق الوجدان بالكيان.

عندما يحدث ذلك!!

يموت الإحساس بالزمن.. ويتوارى الهدف عن مرمى البصر.

هكذا كان شأن هيام وهى فى طريقها إلى أحمد فهمى.

فهى لا تدري لماذا أصر على ذلك اللقاء المفاجئ ولم تحاول البحث عن السبب، وكأنها فقدت الإحساس بكل شىء حولها وأصبحت لا تبالى دون إرادة بأى أحداث تطرأ عليها، فلقد أرهقتها الأسئلة التى طال انتظار إجاباتها دون

جدوى.. واعتصرها الغموض الذى غشى حياتها، فلم تعد كلمات الإعجاب تشجعها ولا الانبهار بجمالها يرضيها. باتت ككيان يعيش بنبض صناعى.

جمالها يصعب أن يحدده شاعر أو رسام.

فهى تمتلك ملامح رقيقة تشع هدوءاً، وجدائل سوداء تشبه الليل فى أوج صفائه. وقواماً رشيماً يكاد لا يظهر له ظل تحت أشعة الشمس. وعينين تضم مقلتين بلون زرق السماء. وبشرة بيضاء سكنت فوق وجنتيها حمرة الخجل. وبمجرد ظهورها داخل حديقة الكازينو واقترباها من أحمد فهمى حتى بادرها قائلاً والشوق يكاد ينطق من عينيه:

— لولا يقينى بأن ليست هناك ملائكة تسير على الأرض لظننت أننى أرى ملاكاً الآن أمامى.

ابتسمت ابتسامتها الساحرة وهى تجلس أمامه مرعدة:

— هكذا أنت دائماً تجيد المبالغة فى تعبيراتك.

أجاب بسعادة:

— لو كنتى تشعرين بما أشعر به نحوك لما اتهمتينى بالمبالغة..

فأنا أقول وأعبر عما فى أعماقى تجاهك بصدق حقيقى.

أتسعت ابتسامتها وهى تقول:

— كالعادة أنت دائماً ما تتفوق على فى التعبير والإقناع

ضحك مقهقهاً..

وكانت فرصة لتأمله وكأنها تراه لأول مرة.

كان أحمد فهمي نموذجاً للشباب الرياضى بالإضافة إلى وسامته الرجولية ونظراته الحادة وخفة ظلة الواضحة، كما أنه لا يفترق لسرعة البديهة وأسلوبه المهذب.

و.. انتبهت إليه وهو يقول بجدية:

- طلبت أن أراك لأمر يهمنا.

تساءلت وهي تخفى فرحتها:

- أى أمر تقصد؟!

همس متردداً:

- أنا أمام موقف أحتاج فيه إلى مشورتك.. ولا أعرف ما هو القرار الذى اتخذه.

قالت بحيرة:

- مشورتى أنا!!

فاستطرد مسرعاً:

- نعم.. فأنتى وحدك ستحددين الموقف النهائى لقرارى.

أومأت برأسها باندهاش دون أن تنطق بحرف واحد.. فعاد قائلاً:

- البنك رشحنى للعمل فى المركز الرئيسى بلندن.

ابتلعت ريقها وكأنها تبتلع الصدمة.. ثم تماسكت وقالت متساءلة:

- وما هى المشكلة فى ذلك.. فهذا أمر جيد بالنسبة لك!!

أجاب فى وجوم:

- المشكلة عند أبى وأمى..و..

التفت بعيداً عن نظرتها وهمس كأنه يحدث نفسه:

- وأنت أيضاً.

رددت:

- أنا.

عاد مستطرداً:

- تعلمين أننى وحيدهم. ولن يتركونى أرحل بسهولة.. و..

قاطعته بلا تركيز.. وقالت:

- ولماذا لا تقنعهما بطريقتك؟!

تدلت ابتسامة خفيفة على طرف شفتيه.. وتساءل بدهاء ظريف:

- المهم أنت.. ما هو موقفك؟!

أجابت بحزم:

- وما دخلى فى الأمر!!

قال بصدق:

- هيام.. أعتقد أنه حان الوقت لاتخاذ قرار بشأننا.. فأنا أحبك ولن أستطع

فراقك مهما كان المقابل.. و.. وقبل أن تعلق على كلماته أردف مسترسلاً:

- فى الماضى كنت متردداً لأن أتقدم إليك للزواج منك بسبب ثراء والدك العظيم، خوفاً من أن ترفضونى.. ولكن اليوم الفرصة مواتية لتحسين موقفى المالى.. ولا أعتقد أن..

قاطعته مرة ثانية بحماس:

- وما دخل ثراء والدى فى مشاعرنا أنا وأنت.. الأمر يخصنا وحدنا!!

قال بنبرة منكسرة:

- كيف.. وهل كان سيقبل والدك ارتباطك بشاب فى مثل ظروفى؟!

أجابت بلهفة:

- قلت لك لا شأن لوالدى بهذا الأمر.

تراجع برأسه إلى الخلف قليلاً بعد أن فاجأته بكلماتها، وأدركت هى ما يجول فى فكرة.. فعادت تهمس وهى تكتم ثورتها:

- أقصد.. المفروض أنه سيكون مصيرنا واحد.

لاحظت الوجوم والحيرة وقد سيطرا على ملامحه، كما سيطر الصمت بينهما للحظات ثقيلة انفراد خلالها كل منهما بنفسه إلى عالمه الخاص يفسر الأمر حسب تصوره.

وفى النهاية اقتحم الصمت قائلاً:

- إذن سأخبر والدى ووالدتى بالأمر.. وعليك أن تفتاحى والدتك وأبيك

وتمهدى لى الطريق لطلبك للزواج.

ودون أن تفكر للحظة أجابت:

– أنت تعلم أن والدى مسافر ويصعب تواجده فى أى وقت.

قال ببراءة:

– ننتظره.. المهم ألا يكون لديه مانع.

قالت وكأن الموقف لا يعنياها:

– وماذا عن سفرك؟!

انفجرت أساريره وقال مبتهجاً:

– أنا لا يعنينى ذلك السفر.. كل ما فى الأمر أننى كنت أبحث عن مدخل أبدأ

به حديثى عن موضوعنا وأفاتحك بأمر رغبتى فى الارتباط بك.

تمتت بسعادة بالغة:

– سأتعب كثيراً من طريقة مراوغاتك هذه.. على كل حال سأعتاد عليها

طوال رحلة الحياة معك.

قال مسرعاً:

– متى ستخبرينى عن موقفهما.

اكتئبت فجأة وكأنها تذكرت حقيقة وضعها، وبأن الفرحة قد أنستها أموراً

أخرى لا مفر من مواجهتها.

وأجابت بهدوء مصطنع:

– لا داعى للعجلة الآن.

تساءل بإلحاح وشغف:

- لماذا يا هيام.. هل تخفين عني شيئاً؟!

قالت تنفى:

- أنا لم أخف عنك مشاعري.

تلقت كلماته كالصاعقة عندما فاجأها قائلاً:

- هل شريف سالم طرف فى الموضوع.

صمتت برهة وكأنها تحاول استيعاب ما سمعته.. وأجابت بحزم:

- ماذا تقصد.. وما الذى دعاك لأن تقول ذلك.. فشريف بك مجرد رئيس

مجلس إدارة الشركة التى أعمل بها.. ما الذى يجول بخاطرك.. هل..

لاحقها متشككاً:

- ما سر ثورتك تلك.. لقد كنت أتساءل فقط.

أجابت بضيق حقيقى:

- لأنك تتوهم أشياء لآساس لها من الصحة.. و.. على كل حال لا تتعجل

الأمور الآن.. فهناك أشياء كثيرة لابد أن أخطرک بها فيما بعد.. وعندها سأترك

لك الخيار واتخاذ القرار الذى يناسبك.. و.. يناسبنى.

وقبل أن يتفوه بكلمة نهضت من مكانها واستدارت منصرفة وهى تحمل

فى عينيها هموم الدنيا ورددت:

- سأتصل بك فيما بعد.

و.. انصرفت من أمامه.

٤

بدت هيام وكأنها كيان بلا ظلال!!

فهي ليست سعيدة ولا تعيسة، ليست متفائلة ولا متشائمة.

غير حاملة ولا متيقظة.. فى أعماقها مشاعر محيرة.. ليست محبة ولا كارهة.. لا راضية ولا غاضبة. تحيا ولا تعيش. لا هادئة ولا ثائرة. ليست مسالمة ولا متمردة. بدت كالبركان الخامد أعماقه متأججة وسطحه بارد.

قررت أن تضع حداً لتلك المتاهة وتخبر والدتها وشقيقتها بذلك الحدث الجديد، لعلها تستطلع الحقيقة من ردود أفعالهما.

تحدثت كثيراً وقالت ما قالت ثم صمتت فى انتظار رأيهما ولكنها لم تتلق جديداً.. لا شيء تبدل.. الغموض ظل مسيطراً عليهم جميعاً.

خديجة العشرى استقبلت الأمر بسعادة حقيقية كأي أم ترغب فى أن ترى ابنتها وهى تبدأ أولى خطواتها مع الحياة الأسرية الجديدة.. وجيهان استمعت إليها وكأنها تتابع مسلسلاً درامياً وتنتظر انتهاء مدة عرضه لكى تنشغل بأمر آخر يخصها وحدها.

تساءلت الأم بحماس:

– ومتى سيأتى ليطلب الزواج منك؟!

تدخلت جيهان وكان الحديث موجه اليها وقالت:

- ليس قبل أربع سنوات من سفره.. لكى يكون قادراً على الإنفاق عليها وتكوين أسرة.

رمقتها ريهام بنظرة سريعة.. ثم التفتت لوالدتها قائلة:

- هو يصر على أن يعرف موقف والدى منه ومن مطلبه.

قالت جيهان مستنكرة وباندهاش:

- عن أى والد يقصد؟!

أجابت هيام ببراءة:

- عن والدنا طبعاً.

أسرعت جيهان تقول بكل جرأة وقسوة:

- مسألة الوالد تلك يمكنك أن تستفسرى عنها من والدتك.. أما عن أبى

فأعتقد أنه لا دخل له فى الأمر.

شعرت خديجة العشرى وكأنها تلقت طعنة مفاجئة من سكين حاد كاد

يمزق صدرها بوحشية مؤلمة.. ويصعوبة بالغة همست بأحرف مختنقة،

وهى تنظر إلى جيهان بذهول:

- ما الذى تقصدينه يا جيهان؟.. وما الفرق بين والدك ووالدها؟!

فأنتما الاثنتان ابنتا صفوت عامر.. أليس كذلك؟!!

أجابت بتبجح مثير:

- هذه المعلومة.. أنتى وحدك التى يمكنك تحديد مصداقيتها.. و.. قاطعتها

هيام وهى تقاوم إحساسها بالدوار:

- ماذا تقصدين يا جيهان.. أسمعك تلمحين بأشياء خطيرة ومبهمة؟!

ابتسمت بدهاء لا يتناسب مع الموقف المتوتر.. ثم قالت:

- كلماتى ليست مبهمة.. و..

التفتت نحو والدتها واستطردت:

- أما بالنسبة للوضوح.. فأمنا الحبيبة هى الوحيدة القادرة على كشف كل

الأمور الغامضة.

ارتفعت نبرتها وهى تقول بغضب شديد:

- أنتى تهذين.. ويبدو أننى لم أحسن تربيتك!!

أسقطت نظرتها إلى الأرض ولم تعلق.

بينما وجهت هيام كلماتها إليها وكل كيائها ينتفض هلعاً:

- وكأنك تريدين أن تخبرينى بشيء ما لا أعرفه يا جيهان؟!

أجابتها دون مبالاة:

- ليس عندى ما أقوله أكثر من ذلك.

عادت خديجة تقول وهى تكتم ثورتها:

- لم أكن أتصور أنك تحملين فى رأسك كل هذه الأفكار المسمومة.. ولا

أعرف كيف سمحت لنفسك أن تتخيلين تلك الأوهام!!

ولأول مرة تبدو على ملامحها أسارير الغضب وهى تجيبها قائلة: - أنا

لم ابتدع تلك الأفكار.. ولم أستدع هذه الأوهام.. أنا أتحدث عن واقع نلمسه جميعاً.. ولكنكما للأسف تتعمدان ألا تعترفان به..

قاطعتها بحدة.. وبدت وكأنها تقاوم رغبتها فى أن تصفعا على وجهها..
لعلها تفيق.. وأسترسلت فى غضبها قائلة:

— أنتى بلا شك مريضة نفسياً.. أراك حاقدة والأناية تسيطر على كل مشاعرك تجاه شقيقتك.

فوجئاً بها وهى تطلق ضحكتها بهستيرياً.. ثم قالت باستهتار:

— أخبريها إذن عن سبب انفصالكما.. أنتى وأبى!!

خيم الصمت على المكان.. راحت تتصفح وجهى ابنتيها، وقد أغرورقت عينيها بمدامع حبيسة.. بدت وكأنها تستعيد فى ذهنها ذلك الماضى البعيد، بينما وقفت هيام تراقب صمتها مشدوهة وهى تقاوم رجفة عنيفة سرت فوق شفيتها.

وبهدوء همست الأم بعد أن تحررت الدموع من جفنيها وسالت على وجنتيها دون قدرة على ملاحظتها.. وقالت بنبرة متهاكمة:

— يبدو أن عمري ضاع هباء.. يا ليتنى مت قبل أن أرى ابنتى الكبرى فى هذا الموقف.

لم تحرك جيهان ساكناً.. ولكن هيام تقدمت بخطوات مقترية منها وحاولت أن تضمها إلى صدرها وهى تردد:

— ما الذى تقولينه يا أمى.. فأنت بالنسبة لى أعظم أم فى الدنيا.. ويكفى

تضحياتك من أجلنا.. فأنت الأب والأم والأمان والحنان وكل شيء في حياتنا.

قالت جيهان بفتور وهي تتأهب للانصراف من أمامهما إلى غرفتها:

- هكذا أفضل.. ويجب ألا نخوض في ذلك الحوار مرة أخرى.

أوقفتها خديجة بصرخة مكتومة:

- انتظري هنا.. لا بد أن تخبريني من أين جئتي بتلك الهواجس.. وبماذا

أخبرك أبوك عن انفصالنا.

تراجعت وهي تنظر إلى هيام.. ثم أجابت:

- قلت لا داعي أن نخوض في مثل هذا الحديث.

رددت بإصرار:

- لن أسمح لك بالانصراف قبل أن تجيبي على سؤالى!!

أجابت بتحد واضح:

- أنا ليس من حقي أن أجيب على سؤال لا يعرف إجابته سواك.

بلا وعى رفعت خديجة كفها وصفعتها على وجهها بقوة وهي تردد ثائرة:

- أنت في حاجة لتقويمك من جديد.. أنت مريضة بالفعل.. و..

أسرعت هيام تفصل بينهما بجسدها النحيل وقالت صارخة:

- كفى.. كفى أرجوكما.. أنا لا أريد أن أعرف شيئاً.

تحسست جيهان آثار الصفعة فوق وجنتيها، وقبل أن تغادر في اتجاه

غرفتها التفتت نحو هيام قائلة بهدوء:

- على كل حال.. لا تقلقى.. فالمال وفير وسوف أعطيك ما تريدنيته لكى
تتمى زواجك من هذا الشاب.

و.. اختفت داخل غرفتها.

اندست هيام فى حضن والدتها وهى مستسلمة لنحيبها المرير وهى تردد
قائلة بحب:

- أرجوك يا أمى لا تغضبى منها.. نحن نحتاج إليك.. أنا ليس لى فى الدنيا
سواك.. ومهما كان الأمر أنتى بالنسبة لى كل حياتى.

وبيد مرتجفة ربت خديجة على رأس هيام.. وقالت بسكينة:

- أحتك فقدت عقلها.. الأموال التى أهدت عليها جعلتها تفتقد توازنها..
هى أصبحت..

قاطعها هيام بإصرار:

- لا تنشغلى بحديثها يا أمى.. يجب أن تعود الحياة بيننا كما كانت فأنا
لم أر فى الدنيا غيرك وغيرها.. ولا أريد أن أفقدك أنت الأخرى بعدما افتقدت
أبى دون إرادتى.

و.. انهارت فى بكاء شعرت به يمزق شرايين صدرها.. و.. اندفعت مهرولة
هى الأخرى إلى غرفتها وكأنها تحاول الهروب من حقيقة ما لا تريد تصديقها.

بينما تهاوت الأم فوق مقعد قريب منها وكأنها تغوص فى ماض بعيد
مؤلم يطالبها باجترار ذكرياته بعيداً عن واقع أكثر إيلاماً.

٥

لم يظهر الغروب فى الأفق بعد.. ولكنه أتى مبكراً ومتسللاً إلى عقل وذهن أحمد فهمى بعدما تلقى مكالمة هاتفية من جيهان تطلب مقابلته لأمر هام.. كانت المفاجأة أكبر من كل توقعاته.

فهو لم يلتق بها من قبل ولا يعرف ملامحها.. ولهذا تدفقت التساؤلات الحائرة إلى ذهنه، وشئت أفكاره، وتشابكت كل الاحتمالات التى حاول أن يفرضها على تصوراتهِ ولكن انتهى به الأمر إلى الفشل للوصول إلى أية مبررات لذلك الطلب المفاجئ لمقابلته.

ردد هامساً فى أعماقه:

.. كيف عرفت رقم هاتفى؟

.. ماذا تريد من هذا اللقاء؟

.. هل تحمل لى رسالة برفضى.. هل اعتبرونى متجاوزاً؟!

انتهى من عمله فى الخامسة بعد الظهر.. توجه مسرعاً إلى المكان الذى حددته جيهان.. فندق مظل على النيل.

جلس يتابع البواخر السياحية بأشكالها الجميلة وأحجامها المختلفة ثم ينتقل بنظرته إلى الطريق يدقق فى السيارات الأجرة التى تتوقف أمام بوابة الفندق، لعله يتعرف على جيهان من على ذلك البعد.. شعر بالزمن ثقيلًا..

وبدا التوتر يحاصر إحساسه بالملل وهو يقاوم الاضطراب القابع فى أعماقه.
وبدون إرادة نسى الموعد الذى جاء من أجله، وتخلص من متابعاته
المتوترة، بعدما لفت نظرة فتاة أنيقة ترتدى نظارة سوداء تثير الغموض
وهى تهبط من سيارة جديدة وتتركها بعيلاء إلى أحد الشباب ليضعها فى
المكان المخصص للسيارات، واتجهت بتؤدة إلى داخل البوابة، وهو يتابعها
إلى أن اختفت.. وما كاد يعود مرة ثانية لمتابعة حركة البواخر السياحية
حتى فُوجئ بالفتاة تقف أمامه وتبادره بجرأة متسائلة:

- حضرتك الأستاذ أحمد فهمى؟!

وقف مسرعاً وهو يجيب بتأدب:

- نعم أنا أحمد..

وقبل أن يكمل.. لاحقته وهى تجلس على المقعد المقابل:

- أنا جيهان عامر.

جلس مستسلماً وهو يبتلع دهشته من قدرتها على معرفته بالرغم من أنها
لم تره من قبل.. لاحظ اختلاف الشبه بينها وبين شقيقتها مع تميزها الواضح
فى ملابسها وجرءتها أيضاً.

قالت بثبات:

- عرفتك من كثرة المعلومات التى رددتها عنك هيام فى أحاديثها.

حاول أن يبتسم من خلال ارتياكه.. فاسترسلت قائلة بدلال مصطنع:

- فى الحقيقة.. هى لم تكن دقيقة أو موفقة فى وصفك!!

ردد باندهاش:

- وصفى!!

أجابت وهى ترفع النظارة من فوق عينيها:

- نعم.. فأنا أراك أكثر وسامة مما قالته عنك.

إزداد ارتباكاً من شدة جراتها.. ثم حاول أن يبادلها المجاملة قائلاً:

- أنا أيضاً لم أوفق فى تصورى عنك من خلال حديث هيام عنك.

قالت بنعومة متساءلة:

- يا ترى الواقع فى صالحى أم لا؟!

أسرع يقول كالتميذ المجتهد:

- بالطبع الواقع فى صالحك.. أنا كنت..

لاحقته بميوعة متعمدة:

- أشكر على تلك المجاملة.. فى الحقيقة أنا يبهرنى نكاه أى شاب.

وعلى غير المتوقع فاجأها قائلاً:

- أفهم من ذلك إننى نجحت فى كشف الهيئة.. وطلبى لم يرفض من

طرفكم؟!

قالت بلا مبالاة:

- أى طلب؟!!

اكتئبت أسارىره قبل أن يقول:

- ألم تخبركم هيام عن رغبتى!!

أجابت بدهاء:

- أخبرتنى عن رغبتك فى السفر إلى الخارج!

قال مندهشاً:

- فقط!!

دققت النظر إلى عينيه وهى تقول:

سوهل هناك شيئاً آخر؟!!

همس بارتباك:

- أقصد عرض الزواج.

ابتسمت بفتور.. ثم قالت وكأن الأمر لا يعينها:

- الزواج أمر يخصها وحدها.. ولكن..

صمتت لبرهة.. شعر بها وكأنها دهرأ.. ثم أردفت متساءلة:

- هل صارحتك بموافقته

أجاب بلا تردد:

- نعم.

عادت تتساءل بخبث شديد:

- فى الحقيقة هيام من النوع المحير.. لا أحد يستطيع أن يدرك ما يدور فى رأسها.

رمقها بنظرة متشككة قبل أن يقول:

- لقد وعدتني بأن تخبركم جميعاً بمطلبى.. و.. قاطعته بثقة:

- هى أدرى بظروفها..

- لا أفهم!!

أجابت وكأنها تتأهب لتعصر قلبه:

- أنا شخصياً لا أفهمها.. فهى كل يوم بحال مختلف.. ولقد اعتادنا على ألا نتدخل فى شئوننا الخاصة.. هى تريد ذلك.. وأنا أحترم إرادتها طالما لديها البديل الذى تثق فيه وتضع بين يديه كل خبايا شئونها.

بدا كالمعتوه وهو يتساءل متلعثماً:

- أى بديل هه.. أى بديل!!؟

فاجأته بقولها:

- شريف سالم.. ألم تسمع عنه.. رئيس مجلس الإدارة بالشركة التى تعمل بها.

اندفعت الدماء بقوة إلى رأسه وهو يقول:

- ما دخله بحياتها الخاصة.. هى مجرد سكرتيرة فقط أو مديرة مكتبه.

عادت تبتسم بدهاء وهي ترمقه بشفقة:

- يبدو أن معلوماتك أنت أيضاً غير كافية!!

- أرجوك.. وضحي لى الأمر من فضلك.

أجابت ببراءة.. وهي تخفى سعادتها بأنها نجحت فى محاصرته بدائرة

الشك والحيرة:

- لقد أخرجتني بعيداً عن الموضوع الذى جئتك من أجله.

ظل صامتاً.. بدا وكأنه عاجز عن الكلام.. أو رافضاً الحديث فى أى شأن

آخر غير ما يدور فى ذهنه من شكوك.

وكالأفعى زحفت إلى مسامعه قائلة برقة:

- كما تعلم أنا الوريثة الوحيدة لمليارات أبى.. و..

قاطعها بلا وعى:

- أنا لا أعلم.. ثم لماذا تكونين وحدك دون هيام؟!

أطلقت تنهيدة من صدرها.. ثم قالت بجدية:

- هذا أمر يطول شرح أسبابه.. المهم عندي أن أخبرك بالسبب الحقيقى

الذى جئت به من أجلك.

و.. بدأت تتحدث طويلاً عن المستقبل.. وعن أن الفرصة لا تأتى لأى

إنسان إلا مرة واحدة.. وعن شبابه وهو فى مقتبل العمر.. وعن عدد الليالى،

وسطوة المال.. ودور الإنسان الذكى فى الحياة.. وكيف يجب إعمال العقل

فى أمور كثيرة لا دور للعاطفة فيها.. وبأنها بحثت كثيراً عن إنسان ذكى تثق فيه لكى يتولى إدارة أموالها الطائلة فى أى مشاريع تستثمر فيها تلك الأموال.. و..

فاجأته قائلة:

.. عندما سمعت عن طموحاتك.. أدركت أنك الشاب الملائم الذى يمكننى أن أتشاور معه بشأن طموحاتى أنا أيضاً.
أجاب كالمسحور:

.. أنا فى خدمتك.. فأى مشورة ترغبينها سأكون صادقاً معك.
هممت بدلال وواضح:

.. أنا لا أطلب مشورتك فقط.
تأملها دون أن يتفوه بحرف.. فأستطردت قائلة:
.. أريدك شريكاً قبل أن تكون صديقاً مخلصاً.
تساءل وهو فى شبه غيبوبة:

.. ماذا تقصدين بكلمة شريكاً!!!

أدركت بأن لدغتها قد نجحت فى إفراز السم داخل شرايين عقله قبل وجدانه الطموح.. فعادت تقول بثقة مؤكدة:

.. انصت إلى جيداً يا أحمد.. أقصد يا أستاذ أحمد.. أنا إنسانة واقعية جداً..
وقد وهبتنى الأقدار الكثير من عطاياها.. ولقد تحملت وصبرت طويلاً على

أمل أن أجد الشخص المناسب الذى أعتمد عليه.. و..

نظرت إليه بحنان ثم أردفت:

– وأعتقد أننى وجدته الآن.. فى لقائى معك اليوم.

– قلت لك إننى مستعد أن..

لاحقته قائلة بإصرار:

– لا أريدك أن تقول شيئاً.. ولكننى أريد الاتفاق أولاً.

تساءل ببلاهة:

– الاتفاق على اى شىء!!؟

قالت بعد أن تأكدت من سيطرتها على تفكيره.

– نتفق على ألا يعلم أحد مهما كان شأنه عن هذا الاتفاق.

– أنا لا..

تدخلت فى حديثه قبل أن يجيب.. وقالت وكأنها تحسم الأمر:

– خاصة هيام.

قال باضطراب:

– لماذا.. أقصد ما السبب.. ثم ما هو الاتفاق الذى تتحدثين بشأنه!؟

غابت للحظات.. ثم قالت من خلال تصنعها الوجود:

– إذا قدر لنا أن نلتقى ثانية.. سوف تعرف كل شىء.

نهضت فجأة وتمتمت وهى تتأهب للانصراف ومدت إليه بوريقة صغيرة سجلت عليها رقم هاتفها المحمول.. وقالت:

- هذا رقمى.. وسأنتظر مكالمتك إذا أنت قررت ذلك.

تناول الورقة وهو مشدوهاً دون تردد.

وما كادت تخطو خطوة واحدة.. التفتت نحوه وبادرتة قائلة:

- بالمناسبة.. هل تأكدت من أن هيام تبادلك نفس المشاعر

أجاب كالغائب عن الوعي:

- لست أدرى.

اتسعت ابتسامتها فجأة ورددت مبتهجة:

- إذن سأراك قريباً.

وانصرفت من أمامه.

٦

سأذهب إلى عمى!!

قرار لم تكن هيام تتخيل يوماً أنها سوف تتخذه.

كانت مجبرة.. بل كانت مقهورة.

فاليأس والغموض والشك والحيرة، وكل تلك الأحاسيس وكأنها قد اتفقت

عليها لتجبرها على اتخاذ ذلك القرار الصعب والمثير.

شهران كاملان قاست فيهما الكثير.. كان لاختفاء أحمد فهمي من حياتها

غير المبرر سبباً مباشراً لسقوطها في دوامة الحيرة بل والإحباط أيضاً..

حاولت مع لياليها الساهرة أن تبحث عن إجابة واضحة لسر إختفائه المفاجئ.

.. هل عرف شيئاً عن قصة أبيها؟!

.. هل شعر بفتورها وكأنها تجامله عندما أخبرته بأنها تبادلته نفس مشاعره؟!

.. هل سافر بعد أن يأس منها؟!

.. لماذا لا يجيب على اتصالاتها الهاتفية المتكررة؟!!

هل ندم على مصارحتها بحبه؟!!

وفشلت في الوصول إلى أى نتيجة.. كما فشلت في أن تستدعى جراتها

لكي تجيب على سؤال شريف سالم المفاجئ عندما بادرها قائلاً:

– ماذا بك يا أنسة هيام؟!

أجابته وهى تقاوم أحاسيس كثيرة متشابكة فى أعماقها.

وهمست على استحياء:

– لا شئ يا شريف بك!

ولكنه عاود بإصرار مردفاً:

– ولكنى أراك على غير عادتك.. أشعر وكأنك فى مشكلة كبيرة تجدین

صعوبة فى حلها.

كادت فى لحظتها أن تبوح له بكل شئ.. ولكنها تراجعت لأسباب لا تعرفها.. استسلمت لحالة الارتباك الوجدانى الذى داهم كل كيانها.. عجزت عن الكلام أمامه، وكأنها تطالبه هو بتفسير حالتها.. فهو أيضاً دون أن يدري كان شريكاً فى ذلك النسيج الهلامى الذى أحاط بحياتها وساهم بلا ذنب فى رضوخها لتلك المشاعر المضطربة.

فهى لا تعرف ولا تقوى على أن تعرف بأى شعور تتعامل معه.

.. هل هو مجرد رئيسها فى العمل؟!

.. هل هو بديل لإحساسها بفقدان الإبوة؟!

.. هل يثيرها وقاره.. أم يخيفها?!

.. هل أنهكتها الحيرة إلى ذلك الحد الذى أصبحت فيه لا تستطيع أن توضح

الفارق بين الاحترام.. و.. الحب!!

لا تعرف شيئاً.. وكأنها لا تريد أن تعرف شيئاً!

ولهذا اتخذت قرارها الأخير.

فاجأت به والدتها.. قالت بإصرار:

— سأذهب إلى عمى!!

لم تستطع خديجة أن تتحمل المفاجأة.. شعرت وكأن الأرض انسحبت من تحت قدميها وتركتها تسبح بلا جاذبية فى الفضاء.. وتلاحقت نبضات قلبها بشدة ويقسوة وكأنها ستخترق أضلعها، جلست قبل أن تهوى على الأرض.. ومن خلال غشاوة الوجوم فى عينيها نظرت إليها مشدوهة قبل أن تردد متسائلة:

— ماذا تقولين.. أى عم هذا الذى تريدين الذهاب إليه؟!؟

أجابت وهى تكتم انفعالها:

— عمى.. شقيق أبى.

وبنبرة منكسرة رددت:

— أنا لا أسألك من يكون.. ولكنى أتساءل كيف تفكرين فى هذا؟!؟

همست بتحدٍ:

— كما فكرت جيهان تماماً.. أليس لى الحق فى هذا أيضاً؟!؟

قالت كالصرخة دون أن تدري:

— أنتى لست كجيهان بالنسبة لهم.. و..

صممت للحظة حاولت أن تزدرد ريقها الجاف.. ثم استطردت في محاولة للتراجع عن جملتها:

- أقصد أنتى أعقل بكثير من جيهان المتهورة.

همست وهى على ثباتها:

- أريد أن أعرف مثلها على الأقل.

- يا ابنتى أنتى لا تعلمين الحقيقة.

قالت بإصرار:

- إنن أخبرينى بالحقيقة.. أخبرينى يا أمى إذا كان أمرى يهمك.

أجابت بانفعال وحسم:

- الحقيقة أنهم يكرهوننا.. وهذه المشاعر ليست جديدة عليهم.

- يحبون جيهان فقط!!

قالتها وهى تدقق النظر إلى عينيها.. حاولت خديجة أن تهرب من محاصرتها بتلك النظرة.. ولكن هيام كانت قد فقدت الكثير من توازنها وراحت تردد بصوت مرتفع:

- الحقيقة عندك أنتى فقط.. وكأنى لست ابنتك مثل جيهان.. لم أرك نائرة عندما ذهبت هى إليهم.. وسمحتى لها كثيراً بالسفر إلى والدنا.. وارتضينا بالأموال التى تنفقها علينا.. وعاشت بيننا وهى تحتفظ بعالمها الخاص.. أما أنا فكان على أن أصمت وأن أتحمل غموضكما وأن أستسلم لواقعى الغريب..

وأن أقدم كل فروض الطاعة والولاء دون أن أفهم شيئاً.. ولكن.. انشغلت برهة حاولت فيها أن تمنع مدامعها.. ثم قالت ثانية:

- ولكن اليوم.. لن أراجع عن قرارى.. سواء أرتضيتى أم لم ترض.

أدركت خديجة أن الأمر أصبح ليس فى نطاق سيطرتها، فعادت إلى هدوئها وقالت بنبرة ضعيفة:

- هذه العائلة كانت ترفض زواجى من أبيك منذ البداية.. و..

قاطعنها بحدة:

- لا تحديثنى عن الماضى.. لقد تزوجتما وأنجبتما ابنتين.. إحداهن على

تواصل معهم والأخرى ممنوع عليها.. لماذا يا أمى.. لماذا يا أمى؟!

صرخت بحسرة:

- لأنهم اتهموننى ظلماً!!

- بماذا اتهموك؟!

فقدت القدرة على مقاومة الإحساس بالانكسار وعدم التماسك أمام ابنتها واستسلمت للبكاء المرير وهى منكسة الرأس، بينما ظلت هيام تتابعها فى صمت أقرب إلى الذهول.. وبيأس شديد قالت خديجة:

- أفعلى ما تشاءين يا ابنتى.. لقد أصابتنا لعنتهم وانتهى الأمر اذهبى..

اركعى تحت أقدامهم وتوسلى إليهم لكى يحبوك.. اذهبى يا هيام وأخبريهم أنك تعيشين مع أم فاشلة لم تستطع حمايتك وفقدت احترامها أمامك.. اذهبى يا هيام وأعتبريننى فى عداد الأموات.

أسرعت هيام نحوها واتكأت على ركبتيها وهى تحاول أن ترفع رأس أمها
وقد سبقها نحيبها وهى تردد بصدق:

- لا يا أمى لا تقولى هذا.. فأنت أشرف وأطهر أم فى الوجود.. سامحيني
يا أمى.. ولكنى تعبت وأرهقتنى الحيرة ودمرنى الغموض.

وبيد خديجة المرتجفة ربتت بحنان شديد على رأس هيام وهى تقول:
- أنا أعلم يا حبيبتي أن من حقدك أن تفعلنى ذلك.. ولكنى أخشى عليك من
صدمة اللقاء بهم.

قالت وهى راضية:

- لا تخشى على يا أمى.. بعد هذه اللحظة الأمر أصبح لا يعنينى ولكن هى
محاولة أخيرة لكى أتخلص من ذلك الكابوس.. وهذا الوهم الذى أعيش فيه
وربما يكون القدر رحيماً بى.

و.. نهضت من ركعتها وهى تلملم مشاعرها المشتتة ثم التفتت إليها
مستطردة:

- الشىء الذى زاد من حيرتى هو موقف جيهان.. فأنا لا أعلم سر إصرارها
لعدم اتصالى بهم فى السابق.. و..

قاطعتها خديجة وهى تهمس بحسرة:

- جيهان.. هى وجيعتى وجرحى الغائر فى قلبى.. ولا أعرف ماذا يخبئه
لها القدر.

أجابت بسرعة:

- ولهذا يا أمى اتركينى أذهب بنفسى إلى قدرى.. لعلى أستطع أن أرفع
عنه ذلك الغيوم.. فانتظاره يا أمى أكثر مرارة بكثير جداً من مواجهته مع
واقعى.. و..

انصرفت من أمامها بثبات مدهش، وكأنها تتأهب بحق للذهاب لمواجهة
قدرها الذى طال انتظارها له.



كان صباح غير كل صباح.. بدت الطبيعة وكأنها هي الأخرى تتقرب حدثاً هاماً، الشمس تبحث عن منفذ من وراء السحب الملبدة لكي ترسل أشعتها إلى الأرض، وصوت الرعد يزمجر من على البعد في الأفق كما لو كان يطلق صرخاته المدوية ليخيف بها ذلك الوجوم القابض على كل شيء، وأفرع الأشجار تتلوى تحت وطأة الرياح الشرسة وهي تحمل معها الإحساس بالصقيع على الأبدان والأركان.

لم تكن هيام أقل إحساساً بالانتقاض من الطبيعة، فهي أيضاً كانت تشعر بالاختناق يجثم فوق صدرها بلا رحمة، ونبضات قلبها تتلاحق بسرعة من شدة الرهبة وهي في طريقها إلى منزل عمها.

حاولت أن تستدعي في ذهنها بعض التخيلات لصور استقبالها عندما تصل إليهم، ولكنها فشلت نتيجة للغموض الذي افترس كل مخيلتها.

كانت تسير بقدمين متعثرتين بعد ترجلها من السيارة الأجرة.. راحت تتلفت إلى اليمين واليسار وكأنها بحق تبحث عن ذلك القدر المجهول لعلها تتأهب لملاقاته قبل أن يفاجئها بصدمة شرسة تفوق كل قدرات تحملها.

وجهاً لوجه وجدت نفسها أمام شاب يافع الطول وقوى البنية عندما طرقت باب الشقة.. و..

بابتسامة هادئة يادرها قائلاً:

- أهلا بك.. هل تأمرين بشيء؟!؟

وبصعوبة بالغة.. أجابت بنبرة مترددة:

- أنا هيام عامر.

استفسر بنظراته قبل كلماته:

- من هيام عامر؟!؟

قالت بجرأة غير متوقعة:

- أريد مقابلة عمى!!

لم تنتظر كلمة منه.. وأردفت:

- أنا شقيقة جيهان.. وابنة صفوت عامر.. والدى.

أفسح الطريق أمامها.. وقال بصوت تفوح منه رائحة الدهشة:

- تفضلى.

جلست على أقرب مقعد وجدته فى طريقها.. تركها وحيدة..

شعرت بنفسها تغوص فى أعماق الأعماق لذلك المجهول الضبابى..

أزعجها السكون إلى الحد الذى كادت فيه أن تسمع دقات نبضات قلبها.

وبعد عدة دقائق، أحست بها دهرأ.

ظهر إليها رجل اقترب من الثمانين عاماً، أتجه نحوها بخطى بطيئة وهو

يلتفح بكوفية صوف حول عنقه، ويرتدى نظارة نظر سميكة وملامح وجهه

تكاد تختفى من التجاعيد الكثيرة وشاربه الكثيف.

وبادرها متساءلاً بصوت أجش:

- ماذا تريدين.. فحسام ابني أخبرنى بأشياء غريبة!!!

جلس أمامها بتناقل قبل أن تقول باضطراب:

- أنا هيام.. ابنة أخيك.

انكملت التجاعيد فوق وجهه الذى بدأ كقطعة اللوف الجافة.. ودقق

النظر إلى ملامحها وهو يقول باندهاش صادق:

- ابنة أختى اسمها جيهان.. وهو لم ينبج غيرها.

زاغت ببصرها فى كل اتجاه، كما لو كانت تبحث عن أى إنسان ينقذها

من ذلك الموقف القاسى.. و.. وبصعوبة مؤلمة تمتمت وكأنها تحادث نفسها:

- كيف هذا يا عمى.. أنا هيام عامر، وشقيقتى جيهان تزورك كثيراً، وتسافر

أيضاً إلى والدنا فى السويد.. ألم تخبركم بأن لها اختاً اسمها هيام.. ألم..

ولكنه قاطعها وهو مستاء:

- لقد انتهينا من ذلك الأمر منذ سنوات طويلة مضت.. وعليك أن تخبرى

والدتك أن تكف عن ملاحقتنا.. وكفى ما حدث ورأينا منها وكفى ما سببته لنا

من مأس ومشاكل منذ أن ظهرت فى حياتنا.

قالت بذهول:

- أمى تسببت فى مشاكل ومأس لكم؟.. أمى التى ظلت طوال السنوات الماضية

تكتم فى صدرها سرأ وتحملت أعباءه وحدها.. أمى التى ظلمتها الدنيا.. و..

قاطعها مرة ثانية بحدة:

– يا فتاة.. إذا كانت والدتك ظالمة أم مظلومة.. فما شأننا بك وبها؟!!

– أنا لا أريد شيئاً منكم.. أنا فقط أريد عنوان أبى.

أجاب بغضب واضح:

– لو كان يعرفك.. أو كنتى ابنته كما تزعمين.. لكان أرسل لك كما يرسل لابنته جيهان.. وأنا رجل قد نال منى الزمن، وأصبحت غير قادر على مثل تلك المجادلات أو المناورات غير المجدية.. فارجعى إلى أمك واخبريها على لسانى أننا لن نقع ثانية فى براثن مكائدها ويجب أن تعلمى أنتى وهى، أن ابنتنا الوحيدة هى جيهان التى كادت أن تدفع ثمناً غالياً بسبب والدتك.. ولكن رحمة الله واسعة.. وهى الوحيدة التى تمثلنا فى عائلتنا المحترمة.

قالت دون أن تدري:

– هذا ظلم.. وأنا أريد أن أعرف الحقيقة إذا كنتم تحكمون بالعدل.

قال بانفعال وتوتر:

– الظلم هو الذى فعلته أمك.. الظلم هو أن تخون زوجها الذى منحها شرفه و اسم العائلة وحب الجارف، بينما قابلت هى كل ذلك بالخيانة والغدر والخسة.. و..

ولأول مرة تقاطعه وهى فى ثورتها:

– من فضلك أنا لا أسمح لأحد أن يتهم أُمى بهذه الصفات مهما كان شأنه.
رمقها بنظرة تكاد تنطق بالتقزز والقرف والضيق.. ثم قال وهو يحاول
أن يكبت انفعاله:

– عودى إليها.. وأسألها كيف انفصلت عن زوجها بعدما أثبت خيانتها مع
ابن خالتها.. اسألها كيف تسببت فى وفاة والدتنا من شدة هلعها وخوفها
على ابنها من أن يرتكب جريمة قد تدفع به إلى حبل المشنقة، وكيف تسببت
فى اغتراب شقيقى الذى من أجله ماتت أمنا حزناً عليه.. اسألها كيف أنجبتك
بعد انفصالها عن أختى، ودارت فى المحاكم لكى تثبت بنوتك له فى وقت أن
أباك الحقيقى الخائن النذل قد تملص من فعلته بكل وضاعة وخسة.

نهضت فى فزع وقد امتلأت جفونها بغشاوة مدامعها.. وقالت بألم:

– لقد سمعت كثيراً عن جبروتكم وقسوتكم، ولكنى لم أتصور يوماً أنكم
إلى هذه الدرجة من الطغيان والظلم.

وقف وهو يتكى على عصاه.. ثم قال مدعيًا الهدوء:

– مسكينة جيهان.. لقد كتب عليها أن تتعايش فى هذا المناخ الموبوء الذى
يجمع بينكم أنتى ووالدتك وخائن أبك الذى لا يزال يتردد عليكم بكل وقاحة
دون أن يعترف بالحقيقة هو وأمك.. مسكينة جيهان التى طالبناها أكثر من
مرة أن تنفصل عنكم، ولكنها للأسف الشديد ولأصالتها النبيلة رفضت إشفاقاً
عليكم من الضياع والتسول.

و.. انصرفت من أمامه دون أن تتفوه بكلمة واحدة.

وبمجرد خروجها إلى الطريق، لم تستطع الاحتفاظ أكثر من ذلك بتماسكها واستسلمت لدموعها التي انزرفت بغزارة حتى كادت أن تحجب الرؤية عن بصرها.. لم تعد تدري كيف تسير وإلى أين تتجه وما الذي أتى بها إلى هذا المكان.. وضعت كفها على فمها لعلها تتمكن من إخفاء نحيبها الذي بدأ يرتفع صداه من أعماقها إلى فمها. كالحلم تخيلت أن هناك من يناديها من خلفها.. أكملت خطواتها المضطربة وهي لا تزال على حالتها.. ولكن الصوت تكرر مع اقترابه منها فالتفتت وهي تمسح مدامعها بأطراف أصابعها.. لتجد نفسها مرة أخرى وجهاً لوجه أمام ذلك الشاب.. بادرها لاهثاً:

- آنسة هيام.. حمداً لك أنى لحقت بك.

تملكتها الدهشة وهي تنظر إليه في صمت.. بينما عاد هو قائلاً:

- أنا حسام.. أرجوك أعطنى الفرصة لمحادثةك قليلاً.

بدت وكأنها فقدت القدرة على الكلام أو التمييز بين الأشخاص.. كانت كالمسحورة والمسلوب إرادتها.. فاستطرد من جديد قائلاً:

- أنا عائد إلى القاهرة.. اسمح لى أن أوصلك.. ولكن من فضلك انتظرى دقيقة واحدة حتى أتى بسيارتى.. لقد تركتها وأسرعرت خلفك لاهثاً خوفاً من أن أفقد طريقك.. أرجوك انتظرينى فى مكانك لمدة لحظات.

و.. انطلق عائداً من حيث أتى.. بينما ظلت هيام ثابتة فى مكانها دون حراك وكأنها تلقت تعليمات مشددة وكان عليها الالتزام بها.. لقد شل تفكيرها، ولم تعد تدري لماذا سمحت لنفسها أن تنصت إليه ولماذا التزمت

برغبته فى انتظاره.. وما الذى يدور من حولها ومن داخلها.. و.. دقائق قليلة وعاد حسام بسيارته وفتح الباب الذى فى اتجاهها.. وقال بتأدب:

- تفضلى يا أنسة هيام.

اندلقت بداخلها دون تردد.. ودون تعليق.. ودون إرادتها أيضاً!!
وفى الطريق.. بادرها على استحياء قائلاً:

- من فضلك لا تغضبى من أبى.. فهو معذور بحق.. فكل كلمة قالها هى بالنسبة إليه تمثل الحقيقة التى لا يعلم غيرها.. والأمر المؤسف حقاً هو تأكيدات جيهان على كل ما لديه من معلومات والتى واجهك بها.
وكانها لدغت من عقرب سام، التفتت نحوه مرددة فى ذهول:

- جيهان.. ماذا قالت لكم جيهان؟!!

تلكأ فى الإجابة، وحاول الادعاء أنه لم يسمع سؤالها.. وظل صامتاً لعدة لحظات وهو ينتبه لقيادة سيارته.. فعادت تكرر عليه السؤال بالحاج.
فقال مضطراً:

- جيهان فتاة غريبة.. تصرفاتها توحى بأنها تعاني من أزمة نفسية حادة أو أنها تحمل مشاعر متناقضة تجعل منها غير متوازنة فى أفعالها وأقوالها وبالأخص بالنسبة لك.. ولوالدتك.

- من حقى أن أعرف ماذا قالت عنا.

- نعم من حقى.. ولكن..

تعلل بأنه يشعل سيجارته لكي يراجع الكلمات في ذهنه قبل أن يجيب قائلاً:
- هي في كل زيارة لنا أو لوالدها كانت تتعمد أن تثير قضية معاناتها من أسلوب معاملتك لها وكذلك والدتك.. و.. ابن خالتها.

قالت بنبرة ضعيفة بعد أن خارت قواها تماماً:

- أنا لم أر هذا الرجل الذي تتحدثون عنه مطلقاً في الماضي.. وجيهان
أيضاً لم تره نهائياً.. فكيف..

لاحقها قائلاً:

- لست أدري لماذا كنت دائماً لا أصدق ما تقوله.. بل كنت متشككاً في
نواياها تجاهكما.

قالت بانكسار:

- لماذا هي تفعل ذلك؟!؟

أجاب بثقة:

- أزعم أنها ترغب في الاستحواذ على أبيك وحدها.. وأعتقد أن الدافع لذلك هو
الفارق الكبير في التباين بين صورتكما.. أقصد.. صمت لعدة لحظات ثم أردف:
- أقصد أن لا وجه في الشبه نهائياً بينكما.

قالت ببراعة:

- أنا شديدة الشبه بأمي.. وأعتقد أنها تشبه أبي كثيراً.

تسلل إليه إحساساً بالارتياح، لأنها أصبحت تبادله الحوار.. وقال:

- هل تسمحين لى برقم هاتفك المحمول؟!!

ومرة ثانية بلا تردد. تناولت وريقة صغيرة من حقيبة يدها وسجلت عليها أرقام هواتفها الخاصة بها وبعملها.. وفى نفس اللحظة أخرج من جيبه الكارت الخاص به.. وتبادلا الوريقات بينهما.. ثم قال بهدوء:

- لى رجاء عندك:

- ما هو؟!!

- أرجوك لا تخبرى والدتك بما حدث فى هذا اللقاء بينك وبين أبى..
وياليت أيضاً ألا تخبرى جيهان بأى شىء. وأنا أعدك فى اللقاء الثانى بأن
أخبرك بأمر كثيرة قد تكون غائبة عنك.

رددت هامسة برضى:

- تقول لقاء ثانٍ!!

أسرع مؤكداً:

- مؤكد سيحدث.. أقصد لو سمحتى أنتى بذلك.

انتبهت إلى أنها أصبحت على مقربة من منطقة عملها.. فأشارت قائلة:

- من فضلك أوقف السيارة بعد عدة أمتار.. فأنا أعمل داخل ذلك البناء

الشاهق.. والوقت يسمح بعودتى للعمل.

وأمام البناء المرتفع أوقف محرك سيارته.. ثم نظر إليها مبتسماً وهو يقول:

- سأتصل بك قريباً.. وحمداً لله على سلامتك.

هبطت بهدوء من السيارة.. ثم انحنت قليلاً لتحديثه من خلال النافذة قائلة:

- أشكرك على اهتمامك بى.

اتسعت ابتسامته.. وقال فى مفاجأة مردداً:

- لا تشكرينى على شىء.. فأنا لم أفعل شيئاً يا ابنة عمى.

سرت رجفة شديدة فى كيانها عندما ترامى!! إلى مسامعها وهو يقول

«يا ابنة عمى».. ولأول مرة يرى ابتسامتها الرقيقة والتي شعر بها وكأن الشمس

أخيراً استطاعت أن تنفذ بأشعتها من خلال ضباب السحب الكثيفة.. و..

انطلق بسيارته وكأنه خشى أن تغيب تلك الابتسامة عن عينيه مرة أخرى



لم تتوقع جيهان بأن سقوط أحمد فهمي سيكون بتلك السهولة غير المتوقعة سقط أحمد فهمي دون أدنى مقاومة أمام الإغراءات المالية والجسدية التي مارستها عليه جيهان، بات كالدمية المصنوعة من المطاط حيث يتقاذفها ويلهو بها الأطفال كما يشاؤون.. سقط بعدما ألقى من خلف ظهره كل ما يربطه بواقعه، وأمسك بأطراف أصابعها كي تحركه في كل الاتجاهات كما تشاء. أصبح وكأنه بلا ذكريات وبلا ماضٍ وبلا هوية أيضاً.. لم تعد تشغله فكرة أنه وحيد والديه أو مصير مستقبله المهني. تبلورت دائرة اهتماماته فقط داخل بوتقة وبوصلة جيهان التي تتحكم في تحركاته.. منحته كل شيء بحسابات خاصة لها لكي تجعله لاهثاً في كل وقت وراء استكمال أية بدايات تبدوها معه.. الآمال والطموحات غير مكتملة، والجنس غير مكتمل، والمشاعر بلا معالم، والرغبات مكبلة، والكلمات ميتورة من الأحرف، والسعادة تلوح له من على البعد، وذكرياته مع الجميع قبرت في أعماقه المظلمة، كيانه بلا توازن، وخطواته تحكمها تعليماتها، أنارت له طريق الفواحش، فأسكرته بالخمير وأدارت رأسه بالمخدرات وألهبت مشاعره الجارفة بالجنس الذي بلا بدايات أو نهايات، مجرد ملامح وبعض الترغيب والكثير من التمتع.

سقط أحمد فهمي بعدما أسقط من حساباته تماما ما كان بينه وبين هيام، وتعلل بالمبررات التي أقنعت بها جيهان بأن معشوقته السابقة هي في

الحقيقة ابنة غير شرعية، وكان ذلك المبرر كفيلا بأن يشطر أية رابطة تربطه بها. فكيف سيواجه والديه بهذا الأمر، وكيف سيواجه المجتمع.. و.. وذاته.

بهرته الهدايا وأعماه الجشع وأذله الطموح، وأصبح لا يملك غير الطاعة العمياء دون قيد أو تفكير.

أخبرته بأنه مطالب بتقديم كشف هيئة لوالدها.. لم تمنحه فرصة التفكير فى اتخاذ أى قرار أو محاولة بلا استفسار، ذلك أمامه كل العقبات.. أعطته بعض المال وتذاكر السفر إلى السويد وأيدته بكل وضوح لأن يقدم استقالته من العمل.. أجلسته أمامها لتقص عليه قصة قبل النوم وكأنه طفل صغير فرضت عليه أحلامه وتخيلاته، السعادة التى ستجمعهما معاً، والحب الذى سوف يظل حياتهما، ومباهج الحياة وسطوة المال وقوة السلطان والجاه، والقدرة على تحقيق كل الرغبات.

فأغمض عينيه، وقدم إرادته قرباناً لرضاها، وسافر على أمل أن يعود إليها بالقوز العظيم وهو.. موافقة والدها.

تنفست جيهان الصعداء بمجرد أن استقل أحمد فهمى الطائرة وغادر أرض مصر، وكأن وجوده كان يطبق على صدرها ويحول دونها وبين تنفيذ رغباتها مجهولة المصدر.. فهى تشعر بأنها مجرد أداة لقوة جبارة تتحكم فى مشاعرها وإرادتها و فى نفس الوقت لا تدرك ماهية تلك القوة ومن يقف وراءها، فاستسلمت لها بلا مقاومة، بالرغم من أنها حاولت كثيراً أن تقنع نفسها بأنها صاحبة القرار فى كل شىء.. المهم ألا تكون تلك القوة هى الشيطان بذاته أو بأقرانه.. كان همها الأول هو البحث عن المبررات التى

تعينها على تنفيذ مخططاتها، سواء إن كانت مبررات واهية أو حقيقية.

ولذلك روادتها خاطرة أفرعتها فجأة، عندما تخيلت ماذا يمكن أن يحدث بعد لقاء أحمد فهمى بأبيها.. فربما يعجب به وربما يستعين به وربما يحتل مكانتها فى قلب والدها.. أو.. ربما ينال قسطاً من أمواله على حساب رصيدها المتواصل معه.

«فصفوت عامر» بالنسبة لها لا يمثل الوالد أو الحماية أو الكيان الأسرى هو فقط صندوقاً سحرياً تتوالد فيه الأموال لتصب فى النهاية إلى صالحها. فهى لم تشعر يوماً بأية مشاعر نحوه كأب ولا كزوج أم ولا يمثل لها شيئاً غير أنه مجرد فرصة عابرة سوف تنتهى يوماً إلى زوال ولذلك يجب استثمارها بكل الوسائل وبأسرعها حتى ولو كانت على حساب بنوتها لأمها أو ارتباطها بأختها.. أو على حساب نفسها هى أيضاً.

وكانت الفاجعة الكبرى بالنسبة لها، عندما ذهبت إلى منزل عمها لتتلصص أخبار «عامر» وفهمى لعل يطمئن قلبها بأن لا شىء سوف يتغير بعد لقائهما. كانت المفاجأة هى معرفتها بظهور هيام لتلك العائلة أو لذلك المصدر المالى المجهول.

تملكتها تلك القوة الغامضة وهى فى طريق عودتها إلى القاهرة وقد تحولت إلى كائن آخر لا يرتبط بمعنى الأدمية بأى شىء.

لا هى حيوان مفترس ولا شيطان متمرس، ولا تملك نزعة إجرامية، ولا كارهة أو حاقدة.. هى فقط مرتعبة.. أحسست بأنه عليها أن تدافع عن حقها الذى عاشت تخطط من أجله لسنوات وأشهر وليال طويلة حتى تمكنت من الوصول إليه وأصبحت ليست على استعداد أن تسمح لأحد مهما كان شأنه أن

يقترّب من ذلك الحق الذى فرضته على واقعها.

و.. كالبركان الذى ظل يغلى حبيساً فى باطن الأرض لآلاف السنين
وحانت لحظة انفجاره.. والرعد الذى تضافرت كل قوى الطبيعة لى ينطلق
بصرخاته فى الأفق البعيد والعميق، والثور الهائج الذى انعدمت وسائله
للوصول إلى جراحه، والزلازل المدمر الذى يفاجئ الكون كله بثورته فيحمل
كل ما فى محيطه إلى دمار وبقايا إشلاء.

هكذا بدت جيهان عندما وصلت إلى منزلها وصرخت كالذئبة الجائعة..
قائلة لهيام:

– من الذى سمح لك بالذهاب إلى أقربائى.. ماذا تريد منى منهم.. ما هذا
التطفل والنفاق والانتهازية.

أسكتت الدهشة هيام، بل أخرجتها تماماً.. أحست بأنها تقف عارية تماماً
بلا ساتر يحميها من هذا الموقف.

تساءلت الأم بهدوء:

– ماذا بك يا جيهان؟

التفتت نحوها بنظرة شرسة وقالت بتهكم مطموس بالتهكم:

– ألا تعرفين بحق.. ما سبب ثورتى.. ألسنت الطرف الثانى فى هذه
المؤامرة اللعينة!!؟

– أية مؤامرة.. يا عديمة الأخلاق!!؟

– ألم تعلمى أن ابنتك الغالية ذهبت إلى عائلتى لتتسول على حسابى أنا؟!!

- ما قصة ترديدك لمعنى أقربائي وعائلتى.. هل لك عائلة منفصلة عنا؟!

أجابت بغل واضح:

- بالطبع لى عائلتى الخاصة بى وحدى.. وأعتقد أنك لست الوحيدة الآن
التي تعرفين الحقيقة.

أدركت هيام بأنها المعنية بكلمات جيهان الأخيرة.. فقالت بلا إرادة:

- أنتى السبب وراء كل ما حدث.. أنتى التي تعمدتى أن تشوهى صورتنا
أنا وأمك من أجل أغراضك غير النبيلة.. أنتى التي حرمتينى من رؤية أبى أو
التواصل معه مثلك.. و..

وهنا أطلقت جيهان موجة من القهقهات الهستيرية.. ثم صممت فجأة
ودارت بنظرها إلى والدتها.. وتساءلت بخبث:

- أسألها عن أى والد تتحدث.. أو أخبريها أنتى إذا كان فى مقدورك هذا؟!
تدخلت هيام وقاطعتها مرددة:

- أتحدث عن والدنا.. و..

قاطعتها هى الأخرى وقالت بثورة مكبوتة:

- والدى ليس والدك.. فأباك الحقيقى عنوانه لدى والدتك.

انقضت خديجة كالفهد، وقالت كالصراخ:

- اصمتى يا سافلة.. وكأنك لست ابنتى.. أنتى صنيعة الشياطين.. أنتى
معتوهة والغيرة من أختك سلبت عقلك.

وبهدوء غير متوقع من جيهان التي حاصرتهاما بنظرة مشتركة وهمست وهي تستدير في اتجاه غرفتها:

- يبدو أن لديك حقاً فى كل ما قلتيه عنى.. ولهذا سأترك لكما ذلك المكان الطاهر وسأنفصل بعيداً عنكما لعلك أنتى وهيام تجدان الفرصة للإنصات إلى ضمائركما!!

ومضت دقائق غير قليلة، ظهرت بعدها جيهان وهي تحمل حقائبها التي تمكنت من حمل بعضها.. واتجهت نحو الباب الخارجى مرددة قبل انصرافها:
- تمنياتى لكما بحياة كريمة مع الفقر.. والقهر.. وخطايا الماضى والمستقبل أيضاً.

وانصرفت مختفية عن بصرهما.

كصمت القبور، وخواء الفضاء.

خديجة غابت مع تساؤلاتها الصامتة والتي لا يوجد صدى لها إلا فى أعماقها.. لماذا أخفت هيام عنها الحقيقة ولم تصدقها القول عندما أنكرت لقاءها بعمها.. وهل أخبرونها بكل شىء.. وبماذا أخبرونها؟!.. هل اقتنعت هيام بما قالوا عنى؟! أم أرادت أن تلحق باختها وتنعم بالمال والثراء وتتركنى هى الأخرى وحدى!!

ولم تكن هيام هى الأخرى أهدأ بالأ منها.. فقد تملكها إحساس مقبض جثم على صدرها فأخرسها. واستسلمت لهواجسها المشتتة وراحت تحدث نفسها فى صمت.

هل هى الحقيقة بالفعل؟! هل أنا ابنة غير شرعية حقاً؟! هل لى أب آخر؟!
من أين أنت جيهان بكل هذه الجرأة والإصرار.

هل من صفوت عامر الذى من المفترض أنه أبى أيضاً؟! ولماذا لم تدافع
أمى عن نفسها؟! لماذا اكتفت بالمناورة فقط

هل هى مخطئة فعلاً.. وما ذنبى أنا!!

التقت نظرتهما معاً من خلال ذلك الصمت الرهيب.. وتحركت خديجة
فى اتجاه غرفتها، بينما اتجهت هيام إلى الباب الخارجى منصرفه فى هدوء.
وكأن كلتاها ذهبت إلى حال سبيلها بحثاً عن إجابة لكل تلك التساؤلات
الغامضة.

٩

هدأت مشاعر جيهان المتوترة، بعد أن وردت إليها أنباء سعيدة من السويد وعلمت أن أباها قد ارتضى لها أحمد فهمي زوجا كما وفر له فرصة عمل في إحدى المصانع لإنتاج الأثاث وأنه سوف يعود قريبا لكي يؤسس معها عش الزوجية. بينما كانت هيام لا تزال تعاني من فقدان الاتزان الوجداني بسبب تشابك الأحداث حولها في ظل توتر العلاقة بينها وبين والدتها دون حوارات أو تلميحات، وأيضا من أجل ذلك الوارد الجديد الذي اقتحم حياتها بلا مقاومة منها والمتمثلة في شخصية حسام عامر الذي كان يصر على أن يناديها «بابنة عمى ..» وكان ذلك كفيلاً بأن يشعرها بالاطمئنان والرضى في كل لقاءاتهما التي تكررت كثيراً بناء على رغبتهما المشتركة وفي إحداها اكتشفت هيام بأن قدرها لا يزال يحاصرها بدوامات الغموض والحيرة والكثير من اليأس عندما بادرها حسام متساءلاً:

— ألم تبحثى عن سر موقف والدك منك؟!

شعرت وكأنه يوجه إليها اتهاماً مثلهم بعدما ظنت خلال مقابلاتهما السابقة أنه مختلف عنهم، وبأنه يتعاطف معها.. فأجابته باقتضاب:

— لم يعد الأمر يهمنى الآن!!

قال بإصرار:

- بل الأمر يستحق الاهتمام.. أليس كذلك؟!

عادت تقول وهى تكتم انفعالها:

- فى السابق كنت أتصور أن هناك من كان يدس الدسائس لكى يفرق بيننا.. أما إذا كان القرار صادر منه عن اقتناع.. ففى هذه الحالة من حقى أن أقول إن الأمر لم يعد يهمنى.. وكفانى ما حدث طوال السنوات الماضية.
قال مسرعاً:

- أنا معك فى كل الأحوال.

إزداد إحساسها بالإهانة قبل أن تجيب متسائلة:

- أى أحوال تقصد؟!

هاجمه الارتباك وهو يقول:

- لم أقصد إيذاء مشاعرك.. و..

قاطعته وهى مضطربة:

- لقد تعودت على ذلك من الآخرين.. ولكن.. دعنى أسألك بوضوح لماذا سعيت خلفى.. هل لمجرد أن تبحث عن حقيقة ما لا تعنيك أساساً.. ام لأن لديك ما تخبرنى به.. أم ماذا؟!!

تعثرت الكلمات فوق شفثيه وهو يجيبها قائلاً:

- سعيت إليك بكامل إرادتى.. وبدافع من رغبتى الصادقة.

- وضد رغبة الآخرين أيضاً.. فماذا سيكون موقفك أمامهم؟!

لم ينطق بحرف فاردفت:

- من أنت؟!

فوجئ بسؤالها وأجاب دون تردد:

- أنا ابن عمك.

عادت تسأل وعلى شفيتها ابتسامة ذابطة:

- من تكون.. فأنا أيضاً لا أعرف عنك شيئاً!!

- أنا أعمل فى شركة للإلكترونيات.. وأرعى أبى المسن كما رأيتى.. وأغلب

عائلتى تعيش فى نفس المنطقة.. وطموحاتى بأن يكون لى شركة مستقلة..

وأقسم لك أننى صادق معك تماماً.

تساءلت وهى تخفى الهدف من كلماتها:

- هل فى مقدورك أن تفتح شركة خاصة كما تحلم بذلك؟!

قال باستحياء:

- وعدنى عمى بذلك!!

همست باستياء واضح:

- وإذا ما اكتشفوا علاقتك بى.. ماذا سيكون مصير ذلك الوعد؟!!

أجاب بحماس:

- لذلك أنا أبحث عن الحقيقة.

- من أجل المال!!

أجاب مصرأ:

- بل من أجلك أنت.

رددت بهدوء:

- أنا...!!

- نعم أنت.. فأنا أشعر بأنك مظلومة.. وبأن هناك من لا يرغب فى إقرار الحقيقة.

اعتدلت فى جلستها قبل أن تقول بجدية:

- وهل تتوقع من المظلوم أن يكون سبباً فى ظلم الآخرين؟!

- لا أفهمك.

- إذا كنت مقتنعاً بأننى مظلومة.. فهل تظن بأننى سأقبل أن أقف أمام

مستقبلك أو أدمر أحلامك إرضاء لأى شىء.. حتى ولو كانت لمشاعرى ذاتها!!

قال وهو شارد:

- أنا لم أفكر بهذه الطريقة.. أنا توددت إليك صادقاً.. وأرغب فى أن

نتعاون لكى نصل إلى الحقيقة ونرفع الظلم عنك.

أجابت بسخرية مريرة:

- سطوة المال تطمس أى حقيقة مهما كانت واضحة.. وأنا سأعفيك بل

سأحاول إنقاذك من تلك السطوة التى حتماً ستجرفك إلى دوامات لا طائل لك

بها.. وستقهر أمام خيارات الواقع وسيكون المقابل قاسياً قد يجعلك يوماً لا

تحمل لى إلا الكراهية والبغض وهو مالا أتمناه لك.. ولا لنفسى بعدما التقيت بك.

حاول أن يقاطعها، ولكنها لاحقته مستطردة:

- يا حسام.. لم يعد فى صدرى مكان للمزيد من الأحزان.. فأنا أصبحت أشعر وكأنى موجة تطفو وتغوص فى قلب البحر وهى فى رحلة طويلة على أمل أن ترسو على شاطئ الحقيقة ذات يوم.. أنا فى انتظار حكم القدر.. وأعتقد أنه من الأفضل لك ألا تربط مصيرك بمن لا يملك القدرة على تحديد مصيره.
- حاول أن يلامس كف يدها ولكنها أفلتت منه مسرعة وهو يقول بصدق:
- سأصبح مع هذه الموجة حتى نصل معاً إلى بر الأمان.
- أجابته والرضى يرتسم على ملامحها:
- يكفينى فقط أن أسمعك وأنت تنادينى.. يا ابنة عمى.
- ولكنى أطمع فى أكثر من ذلك.
- أما أنا فليس لى الحق فى الطمع.. أنا أنتظر فقط ما تجود به الليالى.
- وقفت بهدوء وهى تتأهب للانصراف.. ومدت يدها قائلة:
- حتماً سنلتقى يوماً.. إذا ما وصل أحدنا للحقيقة ليخبر بها الآخر.
- ضغط بأصابعه على كفها وهو يردد فى وجوم:
- الحقيقة التى تخصنى أنا أشعر بها فى وجدانى.. وسأسعى لأن أخبرك بها مهما كانت الظروف.. سأراك بخير يا ابنة عمى:
- و.. انصرفا كل منهما إلى طريق مختلف.



لحظة عصبية، لم تعد تحتمل أى حدث آخر مهما كان قدره فى عمر الزمن، وكأنها النفس الأخير الذى انطلق من صدر إنسان يتأهب للرحيل عن ذلك العالم المتوحش.. لحظة استجمعت فى ثناياها كل معان التحدى والتمرد والإحساس بالظلم.

تلك اللحظة التى اقتربت فيها خديجة من ابنتها هيام قبل أن تدعى النوم كعادتها كل ليلة بعد آخر حوار بينهما.. وهمست إليها بتوجس وخوف من عدم استجابتها أو الإنصات إليها.. وتساءلت:

- وماذا بعد يا هيام؟!؟

وعلى غير المتوقع منها أجابتها بهدوء شديد:

- عن أى شىء تتحدثين يا أمى!!

- هل سنظل هكذا كالغرباء.. ونحن يجمعنا مكان واحد.. بل وفراش واحد؟!؟

قالت بنبرة مقهورة:

- الغربة يا أمى أصبحت جزءاً من كيانى.

دنت منها وهى تحاول أن تضمها إلى صدرها.. وهممت:

- تعالى يا هيام إلى صدر أمك.. فأنا لا أحتمل رؤيتك وأنتى تقاسى من

عذاب الحيرة والشك.. فأنتى أغلى ما فى وجودى ولن أسمح للظنون أن تدمر حياتك.. وسأخبرك بكل شىء لعلك تتخلصين من دواماتك.. و..

بدأت تستعيد معها أحداث الماضى البعيد، وأخبرتها كيف تربصت بها أقدار الدنيا وانتهكت حياتها السعيدة مع زوجها وشتتت أسرتها الصغيرة بعد رحلة حب عظيمة جمعت بينهما.. أخبرتها كيف تكالبت الظروف فى صورة المؤامرة وجعلت منها فى موقف الزوجة الخائنة وهى بريئة أمام الله من كل الاتهامات التى حوصرت بها بسبب الغيرة العمياء التى سيطرت على والدها من شدة حبه لها ولم يدع لها الفرصة لكى توضح له ملابسات الموقف الذى رآه مع ابن خالتها الذى كان يعيش مع والدته فى المسكن القريب من مسكنهما قبل أن يرحلا بعد تلك الواقعة ولم تره بعد ذلك نهائياً.

تساءلت هيام بحنان شديد:

– ما الذى حدث يا أمى.. وما هو الموقف؟!!

أطلقت تنهيدة من صدرها كأنها تطلق سراح أسرار طال سجنها خلف قضبان أضلعها.. ثم قالت:

– كانت خالتى فى هذا الزمن قد اعتادت على مد يد العون لى لكى تساعدنا على مواجهة ظروفنا المعيشية بعد أن تخلصى جميع أقرباء وأهل والدك عنه، وأصبحنا نواجه حياتنا بمفردنا والمسئوليات تتزايد يوماً بعد يوم.. وكثيراً ما كنت أخفى عن والدك ما كان يحدث من خالتى لمعاونتى، كنت أخشى عليه من الإحساس بالعجز ومذلة السؤال. إلى أن جاء اليوم اللعين الذى تعرضت فيه اختك جيهان لمرض مفاجئ أصابها بالتشنجات المرعبة.. حملتها فوق

كتفى وأسرعت بها وأنا فى حالة هيسترية وذهبت لخالتى أستنجد بها لأن والدك كانت طبيعة عمله تستلزم تنقلاته إلى مدن بعيدة ولا يعود إلى متأخراً فى المساء ولولا وجود ابن خالتى الذى ذهب بى إلى المستشفى وتم إسعافها بسرعة واشترى لى الأدوية اللازمة وبعض الاحتياجات الضرورية، ثم عاد بى إلى منزلى وهو يحمل جيهان ودخل غرفتى ليضعها فوق الفراش وفى هذا التوقيت المتوتر عاد والدك ليشاهده وهو ينصرف من غرفة النوم وكانت الكارثة التى لم تستغرق أكثر من ثوان أطلق فيها والدك ثورته العارمة وأعلن من خلالها انفصالنا عن ارتباط الزوجية وانصرف، وتوالى الأحداث بعدها فى سلسلة من المواقف التى استهدفت حياتى بكل قسوة وظلم بمباركة أهله وبعض أصدقاء السوء، واكتشفت بعدها بأننى أحمل فى أحشائى طفلاً آخر وكننتى أنتى يا أغلى الناس.. وكأنك اتيتى الى الدنيا لتحملى معى وزراً لم أرتكبه فى الواقع.

دست هيام رأسها فى أحضان والدتها، وكأنها تخفى مدامعها التى انفرطت بغزارة حتى كادت أن تمنع عنها الرؤية، ثم قالت بصوت ضعيف:
 - مسكينة يا أمى.. لقد تحملتى ما لا يتحمله البشر.. كافحتى وحدك وسهرتى الليالى وحدك. وظلمتى وحدك.. وقاسيتى وحدك ونحن جميعاً نراقبك بجفاء وبكل غباء وأنانية.

رتبت على كتفها بحنان وهى تردد قائلة:

- يكفينى وجودك أنتى وأختك فى حياتى.. و..

غابت للحظة عن تركيزها ثم عادت تهمس متساءلة وكأنها تحدث نفسها:

.. تراها أين هي الآن.. لقد أوحشتني كثيراً.. فهي مسكينة أيضاً خبرتها القليلة فى الحياة جعلتها تستسلم لرغباتها فاختل توازنها وأصبحت لا ترى إلا ما ترغب فيه فقط.

- لا تزالى تلتمسين لها الأعذار بعد كل ما حدث منها.. أنا فى الحقيقة يا أمى لا أعرف كيف طاوعتها مشاعرها أن تساهم فى الافتراء عليك.. بل علينا أنا وأنتى!!
أجابت برفق:

- فى النهاية هى ابنتى.. ولا أتمنى لها إلا كل خير فى حياتها.. وكل ما يقلقنى أننى لا أعرف أين هى الآن. وكيف. تعيش وحدها؟!

لم تكن خديجة أو هيام تدركان أن جيهان أصبح لها عالمها الخاص تديره من خلال وجدانها المشتت وطموحاتها الجامحة وبأعماق قد حولتها إلى مقبرة مظلمة قبرت فيها كل أحاسيس الانتماء أو التعاطف أو أية مشاعر إنسانية تحول دون إشباع نزعة الأنانية التى سيطرت تماماً على كل تصرفاتها.. خاصة مع أحمد فهمى الذى استطاعت أن تمحو ذاكرة كيانه وحولته إلى مجرد أداة أو دمية طيعة تحركها كيفما تشاء، وأحاطته بشباك مصيدتها فأصبح سجيناً بلا إرادة لكل تعليماتها. فمنذ عودته من السويد وهو يحمل أعلامه الزائفة وهى تخطط له مسار خطواته دون مقاومة منه أو البحث عن أى مبرر لكل تصرفاتها معه.. فاجأته بشراء معرض الأثاث باسمه وبشقة فاخرة أيضاً كان يحمل أثاثها أثناء رحلته البحرية أثناء عودته، وهو يستقبل هداياها كالمسحور بعدما أقنع نفسه بأن حبها له هو الدافع لكل ذلك.. ولهذا كان ينفذ أوامرها بلا تعقيب وأنشأ شركة لاستيراد الأثاث تمهيداً

لممارسة عمله الجديد بديلاً لوظيفته المصرفية.

وفى إحدى لقاءاتهما، انتابه إحساس بأنه الطاوس المبهر الذي تتسابق عليه أعين الحسنات، وفاجأها بسؤال فى محاولة للتودد إليها:

- متى يا حبيبتي سنستمتع بعش الزوجية داخل منزلنا الجديد؟!

رمقته بنظرة لا تحمل إلا معنى واحد فقط.. وكأنها تقول له ماذا تعنى بهذا السؤال يا أبله.. وأجابت بلا مبالاة:

- أى عش.. وأى منزل؟!!

إزدرد ريقه بصعوبة، وكأنه يتلع كيانه كله أمامها.. ثم همس باستحياء:

- ألن نحدد موعداً للزواج، حسب رغبة والدك؟!

رمقته شذراً.. ثم قالت باستهزاء:

- سأخبرك عندما أحدد أنا ذلك.. ولا داعى للحديث فى هذا الشأن مرة أخرى.

حاول أن يكون لطيفاً وهو يقول:

- لا أستطيع فراقك أكثر من ذلك.. ثم أن كل شىء متوفر فى منزلنا ولا

ينقصنا شىء.

وكانها شقت عنقه بسكين حاد.. قالت بحزم:

- هذه ليست شقتنا ولا منزلنا.

انفجرت شفتيه فى بلاهة حقيقية بعدما احتوته الدهشة بقوة.. وقبل أن

يعلق بحرف واحد.. لاحقته قائلة بجدية:

- هذه الشقة سنخصصها لضيوف أبى.

قال دون وعى:

- ماذا تقصدين؟!

- أقصد ما سمعته الآن.. وأكرر لك أن هذه الشقة هي لاستقبال ضيوف والدى فى الوقت الحالى.. وفيما بعد سنحدد مصيرها.

همس بجبن واضح:

- ومصيرنا!!!

- هذا أيضاً سأحدده أنا فيما بعد.. و..

و.. اتجهت إلى سيارتها واستقلتها ثم حادثته من خلال نافذة الباب الذى بجانبها قائلة وكأنها تأمره:

سأراك فيما بعد.

وتحركت بالسيارة منصرفه.. وتركته يتابعها بنظرته فى زهول مثير.

١١

كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة قبل غروب الشمس بدقائق قليلة عندما تحركت هيام من جانب والدتها بالمنزل لتفتح باب شقتها بعد سماعها رنين الجرس، وما كادت تفعل حتى شعرت برجفة قوية تجتاح كيانها بعنف بعدما وجدت نفسها أمام آخر ما لا يمكن أن تتوقعه.

رددت باندهاش وارتباك شديد:

- حسام.. مستحيل.. أقصد.. أهلاً.

قال بابتسامة رقيقة:

- هل يمكنني الدخول.

أفسحت له الطريق وقالت بترحاب:

- تفضل يا حسام.

نهضت خديجة من مكانها لاستقبال ذلك الغريب الذي أتى إلى منزلها، وقبل أن تنطق بحرف واحد فوجئت به يقول بوجه باشى:

- مساء الخير يا هانم.. مؤكد حضرتك زوجة عمى!!!

التفتت نحو ابنتها وهي في زهول لتتأكد من أنها هي الأخرى سمعت ما قاله الشاب، وأدركت هيام في حينها أن عليها توضيح الموقف، وأسرعت

تقول بود حقيقى:

- هذا حسام ابن عمى الذى حدثك عنه يا أمى.

قالت خديجة بنبرة حذرة:

- مرحباً يا ابنى.. تفضل.

وأشارت إليه بالجلوس وجلست فى المقعد المواجه له، بينما ظلت هيام واقفة فى مكانها وهى تحاول أن تستجمع توازنها لعلها تستوعب ذلك الموقف المفاجئ.

وبصدق كبير بدأ حسام حديثه قائلاً بثبات:

- أرجو ألا أكون قد تجاوزت حدود المنطق بحضورى المفاجئ.. ولكنى لم أجد وسيلة أفضل من ذلك لأثبت فيها لهيام أننى صادق فى مشاعرى تجاهكما. تقدمت هيام وجلست فوق المقعد المجاور لوالدتها، وهى تتابعه فى صمت أقرب إلى الشرود.

قالت خديجة بهدوء:

- نحن سعداء بوجودك بيننا.. ولكن.. أقصد لابد أن هناك أسباباً قوية دفعتك لحضورك بعد كل هذه السنوات الماضية!!

أسرع قائلاً بحماس:

- نعم لدى أسباب كثيرة.. وأهمها هو أن أقف بين يديك يا زوجة عمى لأطلب منك أن تسامحيننا جميعاً على ما اقترفناه فى حقك من ظلم وقسوة

ويسرنى أن تعتبرينى ابنك الأكبر.

قالت بجدية:

- أنت لا ذنب لك يا بنى.. فالماضى هو المسئول عن كل شىء.. وأنا لا
أحمل ضغينة لأحد منكم.

أجاب بجرأة وتأذب:

- هذا ما شجعنى لذلك التصرف ليقينى تماماً بأن حضرتك أم مثالية
ومربية فاضلة وسوف تستميلك مشاعرك لى تصفحى عنا. وأتمنى من كل
قلبى ألا ترفضين مطلبى بعد قناعتك بأن لا ذنب لى فى أى شىء.

قالت وهى تدقق النظر إلى عينيه:

- أى مطلب تريده!!؟

هاجمه الاضطراب وهو يجيب قائلاً:

- يا زوجة عمى.. أنا أرغب وأتمنى الارتباط بهيام.. ابنة عمى..و..

التفتت تجاه هيام التى زاغت ببصرها بعيداً عنه وقد تملكها الذهول
تماماً، ثم عادت لتتنظر إلى أمها وكأنها تستغيث بها من هذا الموقف المثير.
بدت خديجة متماسكة وهادئة هدوءاً مثيراً، وتوجهت إليه مرددة بنبرة مسالمة:
- وكأنى أرى صفوت عامر أمامى.. و..

شردت بخيالها بعيداً وكأنها تستعيد الموقف المشابه الذى واجهته منذ
سنوات طويلة مضت فى مقارنة غير عادلة ما بين الماضى والواقع.

ثم فاجأته متسائلة:

- هل أهلك يعلمون بمطلبك هذا؟!!

شعر بجفاف حلقه، حتى كاد أن يفقد النطق.. وبصعوبة بالغة تتمم بارتباك واضح:

- أنا لست مسئولاً عن موقفهم.. أنا أحب هيام وأحترمها وأقدرها، وأتمنى بكل مشاعري أن تصبح زوجة لى ونبدأ حياتنا معاً.. المستقبل أمامنا ولن نلتفت لذلك الماضي المظلم.

ترقرقت ابتسامة خفيفة على طرف شفيتها.. ثم تأملت وجه هيام للحظة، وأعدت نظرها تجاهه مرة ثانية، ثم قالت وهي تطلق تنهيدة من صدرها:

- إذا كنت تدرك كما تقول إننى تعرضت للظلم من عمك وعائلته، فأنت بالتأكيد لا تعلم ولا تدرك ما هى تبعيات ذلك الظلم.. فأنا بسبب لحظة وهمية دفعت ثمناً باهظاً خلف وراءه جراحاً لم تلتئم بالرغم من مرور تلك السنوات الطويلة.. وانكسارات متتالية، كانت طعنات غدر قاسية سواء من البشر أو الزمان.. أنا على يقين بأنهم لم يخبروك بالحقيقة، ونالوا من كرامتى وسمعتى دون هوادة أو عدالة، وكل ما كان يهمهم هو الفتك بى والقضاء على وجودى إنتقاماً واعتقاداً بأننى غويت عمك وسعيت بأن أمزق صلته بهم.. و.. قاطعها دون إرادته:

- أنا لا يهمنى موافقتهم أو موقفهم فأنا...

أوقفته بحدة مصحوبة بالحسم:

- وأنا يهمنى ابنتى.. ولا أرغب ولا أتمنى أن تواجه نفس المصير الذى واجهته أنا.

وقبل أن تستطرد فى حديثها، فوجئت بتدخل هيام وهى تردد قائلة:

- انتظرى للحظة يا أمى..

ثم توجهت بكلماتها إلى حسام متساءلة:

- وماذا عن الوعد؟!؟

- أى وعد!!!

- الوعد الذى وعدك به عمك بخصوص الشركة المستقلة لحسابك.

أدرك حسام بأنها تحاول أن تستنطقه بكلمات محددة أمام والدتها.

فأجاب بحذر وترقب:

- عمى لن يخذلنى بعدما أوضح له حقيقة الأمر.. فهو يثق فى.. ولا أعتقد

أنه سيتصدى لرغبتى.. كما أنه يعلم تماماً أننى لست طامعاً ولا انتهازياً

ودليلى على ذلك هو أننى لم أطرح يوماً فكرة ارتباطى بجيهان، بالرغم من

تلميحات والدى المتكررة لهذا الشأن.

راود هيام إحساس بالارتياح وعزة النفس قبل أن تقول:

- يجب أن تعلم يا حسام أننى لا أنكر إحساسى بالرضى وبالأمان منذ أن

رأيتك لأول مرة.. فأنت شاب تتمناه أى فتاة مثلى.. وأرى فىك رمزاً للشهامة

والرجولة والصدق.. و..

قاطعها وهو مبتهج:

– هذا يكفينى لكى يطمئن قلبك.. وأن أنال رضى زوجة عمى. قالت مسرعة:
– ورضى أهلك أيضاً.. وهذا شرطى الوحيد، فحق أمى وكرامتها فوق
كل الاعتبارات والرغبات.. وحتى لو تنازلت أمى الغالية عن حقها فأنا من
المستحيل أن أكرر المأساة التى عاشت فيها بسبب استسلامها للظلم حتى ولو
كان بدافع حبها لوالدى.. أنا لن أسمح بأن أضع نفسى ومشاعرى فى موقف
الدفاع أو المراوغة أو الاستكانة.. فالمال لا يصنع كياناً للإنسان، ومشاعر
الحب ذاتها لا يمكن أن تدوم فى ظل مناخ يحيط به القهر والظلم والضعف،
الحب يحتاج للقوة التى تحميه والكبرياء الذى يرويه والسلام الذى لا يشقيه..
وأنا أريد أن أعيش فى سلام مهما كانت التضحيات فى سبيل أن أحقق ذلك.
قال بصدق حقيقى:

– حديثك هذا أثبت لى أنني لم أكن مخطئاً عندما أتيت إلى هنا.

ثم التفت تجاه خديجة العشرى وأردف بهدوء شديد:

– أرجو يا زوجة عمى أن تمنحنى الفرصة لكى أكفر عن ذنوبهم جميعاً
تجاهك.. و..

نهض بثبات مستطرداً:

– وأنا على يقين بأن الشمس دائماً لا تشرق إلا لمن ينتظرها.

واستأنن منصرفاً، دون انتظار لأى تعقيب منهما.

١٢

المفاجأة... كلمة قد لا يتوقف عندها البعض كثيراً، ولكنها فى حقيقة أمرها تحمل فى طياتها العديد من المتناقضات التى تجعلها مصدراً لكل التفاعلات الكونية والبشرية، مثلما تسقط الأمطار فى غير مواسمها فتمنح البعض البشرى وتبدو كالكارثة لبعض آخر.. وكما تهبط فى بعض الأحيان ثروة طائلة على إنسان فتميته الفرحة ويستقر بعدها الحزن والأسى فى قلوب أهله وأقربائه. فتصبح المفاجأة وكأنها كلمة السر للحياة نفسها بكل ما فيها من مسرات ومعان وصراعات ومشاعر بمختلف صورها وأهدافها وأيضاً مبرراتها. هكذا كان حال أحمد فهمى عندما تلقى مكالمة جيهان الهاتفية تخبره فيها بأنها ترغب فى لقائه وحددت الموعد والمكان فى شقتهم الجديدة.

المفاجأة أفقدته القدرة على استيعاب حقيقة أحاسيسه الوجدانية، فترنح مع خياله تحت قبضة وهم السعادة وغموض التوقعات، وحيرة الإثارة والقلق والأمل والخوف ما بين الترقب والتمنى.

كان وهو فى الطريق إليها يلهث وراء التساؤلات الحائرة التى هاجمت عقله وأربكت وجدانه وهو يبحث عن إجابات لها فيقع فريسة للفضول.

ماذا تريد جيهان!!!

ردد ذلك السؤال الحائر فى صدره..

.. تراها ستحدد موعداً للزواج، أم دفعها الشوق واللهافة لرؤيتي؟!؟

.. هل هي دعوة للخطيئة!! أم قرار يؤدي إلى الفراق!؟

.. ما هو صيد تلك اللحظة!! عتاب ولوم، أم ثورة وغضب.. متعة وإثارة

أم تعاسة وشقاء.

وجدها في انتظاره داخل الشقة، كانت متجملة في أعلى محاولاتها

للتجمل، وابتسامتها هادئة في موائمة مع نظرتها الحالمة.

استقبلته ببشاشة قائمة:

.. أهلاً يا حبي الوحيد.. أشتقت إليك كثيراً.

اهتزت أوداجه واضطربت مشاعره من شدة إحساسه بالزهو وغرور

العاشقين.. وأجاب وهو يجلس أمامها:

.. في الحقيقة.. أقلقني كثيراً طول غيابك.. ولم أجد مبرراً لذلك.

ضحكت بميوعة وهي تقول:

.. أما زلت لا تعرف طبيعتي.. فأنا يا حبي الوحيد أحب أن أتعاش مع

اللحظة بكل مضمونها.. أغوص في أعماقها لألتقط منها كل ما يسعدني.

إزداد نشوة، فانتقل إلى جوارها على الأريكة الدائرية وتناول كف يدها

برفق وهو يردد:

.. سعادتي أن أراك دائماً بجانبى.

قالت وهي تسحب يدها:

- لذلك علاقتنا مستمرة إلى الآن.. وأتمنى أن تظل هكذا دائماً.

تساءل بلهفة على أمل أن يستمع إلى جديد بشأنهما:

- هل اتصل بك والدك!؟

أجابت باقتضاب واضح:

- لم يحدث منذ فترة طويلة.

تراجع بظهره قليلاً وقد شرد ذهنه مع التساؤل الحائر.. ماذا تريد

جيهان.. ثم عاد والتفت إليها قائلاً:

- أه لو تعلمى قدر سعادتى عندما تلقيت مكالمتك لمقابلتك هنا..

لقد شعرت ب...

قاطعته بثقة:

- نحن فى انتظار بعض الضيوف.

اختطفته المفاجأة وهو يتمتم مذهولاً:

- ضيوف.. أى ضيوف!!؟

وكانها لم تسمعه، ونهضت من جواره وأطلت ببصرها من خلف زجاج

النافذة على الطريق. ثم عادت فى اتجاه الباب الخارجى للشقة وهى تردد:

- لقد حضروا بالفعل.

وهو قابع فى مكانه بلا حراك، يتابعها مشدوهاً لا يعرف كيف يتصرف وهو

يرى غريبان وامرأة برفقتهما وجيهان ترحب بهم بشدة، وتولت مهمة التعارف بين

الجميع ببعض الكلمات والأسماء. ولم يستقر في ذهنه أى شىء مما قالته حيث فقد قدرته على التوازن لاحتواء الموقف وظل صامتاً مع ابتسامة بلهاء استقرت على طرف فمه. وبدون مقدمات تناول كل من الرجلين سكيناً حاداً من حقائبهما الجلدية الصغيرة ثم اتجه الأول لأحد المقاعد الوثيرة وذهب الآخر للمقعد الثانى وبدءاً بهدوء شديد يمزقان الوسادتين وتفرغ كلاهما فى إنقاط بعض الأكياس المندسة داخل المقاعد ثم أتجها إلى مقعدين آخرين ونفذا نفس المصير وحملوا الأكياس داخل حقائبهما الصغيرة ثم اتجها فى طريقهما للانصراف وهم يرمقون جيهان بنظرات راضية كلها امتنان ومودة.. و.. انصرفا بلا تعليق.

انفلتت من بين شفتى أحمد فهمى كلمات دون إرادة وتساءل والدهشة تسيطر على كل ملامحه:

- ما هذا ما معنى ذلك؟!!

وقفت أمامه وقالت بكل ثبات:

- هذا معناه قيمة خمسة وعشرون مليوناً من الجنيهات.

وقبل أن يتفوه بحرف واحد.. لاحقته مستطرده:

- وحصتنا فى هذه الصفقة خمسة فى المائة.

قال من خلال زهوله:

- أى صفقة؟!!

- لا تحاول أن تخبرنى بأنك لا تعلم حتى الآن إنها صفقة هيروين وكوكاين.

انتفض فى فزع حقيقى وقال صارخاً:

- ماذا تقولين.. وكيف سمحتى لنفسك أن تشتركي فى عملية قذرة مثل هذه.. كيف سمحت أخلاقك أن ترتكبين ذلك العمل الإجرامى.. وكيف تقحميننى فى تلك الجريمة و.. قاطعته مرة أخرى بحسم:

- قلت لك أن نسبتنا خمسة فى المائة.. ماذا تريد أكثر من ذلك؟!

تراجع بصعوبة قبل أن ينفذ رغبته بأن يصفعها بقوة أو يسقطها على الأرض ويخطو فوقها وهو منصرفاً.. وحاول أن يتماسك مردداً بعض الكلمات وهو ينظر إليها بإزدراء وضيق قائلاً:

- إذن أنتى تاجرة مخدرات.. تدعين الفضيلة والشرف وأنتى أبعد ما تكونين عن تلك الخصال.. أنا أشعر الآن بالمهانة لأننى خدعت بك.. ومثلك لا يستحق الاحترام أو أية مشاعر جميلة.. مكانك هو السجن مع أمثالك المجرمين أنا سأنصرف وسأبلغ الشرطة عنك لتتألى العقاب الذى تستحقه. وقبل أن يتحرك بخطوة واحدة.. فاجأته قائلة بفتور مثير:

- توقف عن تلك الثرثرة البلهاء.. ولا داعى لأن تتقمص الفضيلة والشرف.. فأنت أيضاً ما سعيت ورائى لإامن أجل المال وثراء أبى.. أنت قايضت بالمال كل شىء فى حياتك.. حبك وعلاقتك بهيام شقيقتى.. وشهادتك وعائلتك.. وشهامتك بعد أن قبلت بما هو ليس من حقك.. سال لعابك على الشقة والمعرض وأحلام المستقبل وما سوف يعود عليك بالنفع والاستفادة من علاقتى بك.. أليس كذلك يا حبى الوحيد!!!

همس كأنه يحدث نفسه:

- أكاد لا أصدق نفسي وما أراه أيضاً أمامي الآن!!!

قالت وهي تبتسم بسخرية:

- لا... لا بد أن تصدق نفسك.. وأنت أمامك خياران.. فإما أن تستغل ذكاءك

كعهدي بك.. أو أن ترفض وترشد عما رأيت للشرطة.. و..

صمتت لبرهة وهي تحقق إليه بتركيز.. ثم أردفت قائلة:

- أخبرهم وارشدهم.. بكل الحقيقة.. بأنك سافرت إلى السويد واستوردت

الأثاث باسمك.. ووضعت داخل الشقة التي تمتلكها بكل ارادتك.. ثم أتيت

بأصحاب الصفقة ليأخذوا بضاعتهم.. فكل شيء يا حبي الوحيد يثبت أنك

أنت المدبر بفكرك الشيطاني الذي جعلك تفتتح معرضاً للأثاث لكي تمارس

فيه تجارتك الملوثة بحذر وأمان. قال وهو محبط:

- أنتى أخطر بكثير من كل التصورات.

- أنا أدركت الحياة أكثر منك. فالقوة يا عزيزى معناها السعادة والأمان

والثقة... وتحقيق الأمل والأمانى سوف تمنحك الإحساس بأنك تملك كل شيء

حتى المشاعر والمبادئ.

هذه القوة يا حبي الوحيد مصدرها المال.. والمال فقط لا غير.

و.. تناولت حقيبة يدها واستدارت لتتأهب للانصراف. وبعد أن خطت

لبضعة خطوات، توقفت والتفتت إليه مرعدة:

- سأتركك لتختار ما بين الاختيارين.. وسأنتظر منك القرار ثم تركته

منصرفاً دون أن تنتظر منه أى تعقيب.



جيهان.. التلميذة النجيبة لأبيها، لم يرو ظمأها المال الوفير ولم تطفئ لظى أعماقها مشاعر الغيرة وسيطرتها المتجبرة على كل من حولها.. لم يرضها أنها حرمت شقيقتها من حبيبها ومن حنان والدها ومن استقرارها النفسى.. لم تكتف بكل ذلك بل تحولت كالإعصار المدمر وراحت تشعل نيران الغضب والحقد فى كل بقعة تطؤها قدماها، أخطرت عمها العجوز بما فعله ولده حسام فأحالت حياته إلى جحيم بعد أن طاردته العائلة بثورة عارمة نال فيها ما نال من تهديد ووعيد وحاصروه بلعناتهم، خاصة أبيه المسن الذى حذره من الاقتراب من تلك الفتاة اللقيطة وبأن مصيره سيكون الطرد والهجر بعيداً عن قوام العائلة العريقة.. كما أتاه وعيد عمه المغترب بأنه سوف يلغى كل وعوده السابقة وسيحرمه من تحقيق طموحاته ولن يتركه يهنأ برغبته الطائشة حتى ولو اضطرت الظروف إلى اغتيال هيام التى سوف تتسبب فى جراح لجيهان ابنته الشرعية الطاهرة والبريئة. والتى كان يأمل ويمهد لزواجها من حسام ابن عمها.

لم تستطع جيهان أن تكبح جماح البركان المتأجج فى أعماقها الذى كان ينفث مع أنفاسها ونبضات قلبها كل مشاعر الحقد الأسود عندما ذهبت إلى مقر عمل هيام لترضى رغبتها فى التشفى والشماتة على أمل أن تراها بأئسة ومحبطة بعدما امتنعت عن مساعدتها هى ووالدتها، تمننت أن تسمع

منها بأنها قد توقفت عن استكمال محاولتها للحصول على درجة الماجستير بعدما فقدت القدرة على شراء المراجع والاحتياجات الأخرى اللازمة لذلك.. توقعت أن تراها شاحبة وذليلة وبأنها ستتعالى على توسلاتها لكي تعود إليهما مرة ثانية وتصفح عنهما بشرط ألا يتدخلا فى شئونها مرة أخرى.

استقبلتها هيام ببشاشة وفرحة حقيقية وقالت بصدق:

- أختى حبيبتي.. كنت أعلم جيداً أنك لن تطيقى فراقنا.. أنا والدتك كنا فى غاية القلق بسبب غيابك عنا.

جلست أمامها بهدوء وهى تضع ساقاً فوق الأخرى وقالت بفتور:

- كنت أعتقد أنه سيسعدك غيابي.

- كيف يرادك هذا خاطر.. وأنتى شقيقتى الوحيدة وأنا وأمك ليس لنا أعلى منك.

حاولت أن تبدو طبيعية ولكن مشاعرها الدفينة لم تمنحها الفرصة لذلك وأجابت بلا اهتمام:

- بالمناسبة كيف حال أمك؟!

رمقتها باستياء قبل أن ترد:

- تقصدين والدتنا.. أليس كذلك!!

تساءلت باستفزاز مقصود:

- هل ما زالت تخفى سرها عنك!!؟

أجابت وهي تكبت غيظها:

- السر.. لا وجود له إلا فى خيالك المريض.

- أنتى حرة فى أوهامك.. تماماً مثلما أوهمك أحمد فهمى بحبه الزائف لك.

رددت بلا إرادة.

- وما دخل أحمد فهمى فى ذلك.. ومتى وكيف التقيتى به!!؟

ابتسمت بكل تشف وخبت ثم قالت:

- جئت أدعوك لحفل زفافنا أنا وأحمد فهمى.. فسوف يتم زواجنا قريباً.

أصابتها المفاجأة برجفة عنيفة سرت فى جسدها بعنف مؤلم.. وبصعوبة

بالغة حاولت أن تتوازن وهى ترد إليها الصاع صاعين.. وقالت بترقب:

- يبدو أن المناسبات السعيدة تتوالى تباعاً.. فأنا أيضاً اتفقت مع حسام

ابن عمى على الزواج قريباً.

كان سبب ذلك الحوار هو بداية الحرب السوداء التى أعلنتها جيهان على

الجميع.. تخلصت فيها من كل مشاعر المودة والانتماء، وانتزعت من أعماقها

كل مفاهيم القيم والأخلاقيات والمنطق.. لم تبق فى صدرها غير حصاد الشر

والغيرة والحقد.. وفعلت ما فعلت بعد ذلك.

ثم هداها تفكيرها بمعاونة الشيطان أن تتحين فرصة عدم وجود هيام فى

عملها ذات مساء، واتجهت إلى مقر المؤسسة وتلتقى بشريف سالم بعدما

ألحت على مقابلته منفردين.

وفى اللقاء تقمصت الكيان المقهور والضعيف.. وبادرته قائلة:

- لم أحضر لمقابلتك إلا بعد أن يئست تماماً من حل طلاسم كثيرة أوقعتنى
فى حيرة مدمرة.

تساءل بهدوء:

- أى طلاسم يا آنسة جيهان.. وما هو دورى فى ذلك؟!؟

- حضرتك أساس كل شىء

- أنا!!!

- نعم أنت.. وفى الحقيقة لا أعرف كيف أبدأ معك حوارى.

قال والدهشة تملأ رأسه:

- بأى شىء يا آنسة جيهان؟!؟

أجابت بثبات يشبه الصدق.. و..

راحت تسرد إليه قصة هيام بصورة مشوهة ومثيرة.

أخبرته كيف حاولت أن تسقط خطيبها أحمد فهمى فى حبالها، ولولا
الرباط العاطفى الأعظم الذى يربطه بها لوقع بالفعل فى فخ هيام.. وأخبرته
أيضاً كيف أفسدت حياتها مع والدتها وكذلك مع والدها بالرغم من أنها ابنة
غير شرعية.. و..

توقفت لبرهة حاولت فيها أن تتأمل أسارير وجهه باحثة عن تأثير كلماتها
عليه.. ثم استطرقت وهى تدقق النظر إلى عينيه وكأنها تتأهب للانقضاض

على فريستها التي أصابها الدوار:

- وكانت الكارثة الكبرى عندما أخبرتني بقصتها معك.. فلم أتحمّل أن أرى رجلاً محترماً مثلك وله تلك السمعة الطيبة أن يخضع لابتنزاز هيام المريضة نفسياً.
ردد وكأنه يحدث نفسه:

.. قصتي مع من؟؟!!!

أجابت بنبرة تملؤها الحسرة والانزعاج:

- أنا لا أصدقها فيما تقوله عنك؟؟ فهي تدعى أنك تطاردها باستمرار وتلاحقها بكلماتك المعسولة، وتتوسل إليها لكي تستجيب لنزواتك معها ودأبت على مماطلتك في طلب الارتباط بها بالرغم من أنك عرضت عليها كل ما تملك من أموال وشركات ولكنها للأسف كانت تراوغيك عن عمد لأهداف كثيرة لديها.. منها أن تستفيد من الإجازات الطويلة التي تساعدها على الماجستير المزعوم.. وتجعل منك أيضاً ورقة ضغط لإثارة أحمد فهمي خطيبى بالإضافة لتحين الفرصة المناسبة لكي تقترض منك مبلغاً كبيراً تمنحه لفريستها الجديدة وهو حسام ابن عمى لكي يبدأ به حياته العملية.. لقد حاولت أن تدمرنى كما تحاول الآن أن تدمر كل من حولها وعلى رأسهم حضرتك بعد أن استغلّت ثقتك بها ومشاعرك الجارفة نحوها.

كان يستمع إليها وكأنه ينصت إلى نعيق غراب جائع أو إلى نذير شؤم جاءه على غفلة منه.. ثم قال مذهبولاً:

- أنا لا أصدق ما أسمع!!!

لاحقته قائلة بتحد:

- لا تصدق ما تسمع.. أم لا تصدقنى.. أم أنك لا ترغب فى التصديق أصلاً؟!!

أجاب بحسم:

- كل شىء أصبح سواء الآن.

نهض واقفاً معبراً عن انتهاء ذلك اللقاء الغامض.. واستجابت جيهان بعد أن تأكدت بأن سمومها قد سرت بالفعل فى شرايينه وتركته منصرفه بلا تمهيد أو تعليق.

لم يحتمل شريف سالم الصبر كثيراً بعد ذلك اللقاء المثير.. واستدعى هيام من إجازتها بعد عدة أيام قليلة.

وبعد أن أجلسها أمام مكتبه.. بادرها بلا مقدمات قائلاً:

- آنسة هيام أنتى مديرة مكتبى منذ فترة طويلة.. أليس كذلك؟!!

أومأت برأسها مرحبة وأجابت بافتخار:

- نعم.. وأنا سعيدة بذلك جداً.

تساءل بحذر:

- هل شعرت يوماً أننى أقايضك على شىء.. أو أفرض عليك مغاللتى

عنوة.. أو طاردتك فى كل مكان كما تدعين؟!!

نظرت إليه فى ذهول وقالت:

- لم يحدث بالتأكيد.. ولكن لماذا مثل هذه التساؤلات؟!!

أردف مواصلاً حديثه وكأنه لم ينصت لكلماتها.. وقال:

— أنا لا أنكر عظمة المفاجأة عندما رأيتك لأول مرة، حيث الشبه الغريب والمدموش بين ملامحك وملامح زوجتى الراحلة التى عشقتها ولم أعشق بعدها أحداً.. ولا أنكر أيضاً أننى استسلمت لمشاعرى المضطربة والحائرة فى كيفية التعامل معك لكونك شبيهة لزوجتى الحبيبة.. أو كابنتى بحكم فارق العمر بينى وبينك..

نعم أنا لا أنكر كل هذا.. ولكنى أرفض بشدة رأيك ونظرتك لى كرجل لديه كل الخصال والصفات المرعبة والسيئة.

انسحبت الدماء من وجه هيام قبل أن تتلعثم مرددة:

— أنا لا أفهم شيئاً.. ماذا تقصد حضرتك.. أنا..

قاطعها دون تردد:

— الإجابات تجدينها لدى شقيقتك جيهان.. أما أنا فليس لدى أى مبرر لكل ما سمعت منها.. وأنت وحدك التى تدركين الحقيقة.. إذا ما كنت أنا بهذه الصورة المشينة أم لا.

أفلتت منها صرخة مكتومة:

— جيهان.. هل قابلت جيهان وأخبرتك بكل ذلك.

أجاب وهو متحفز لرد فعلها:

— وأكثر من ذلك.. فهى..

وأسرد عليها كل ما أخبرته به جيهان.. ولم ينتظر منها تعقيباً
وكعادته للتعبير عن إستيائه وإنهائه للمقابلة.. نهض يثبات مردداً وهو
يدقق النظر إلى عينيها قائلاً بحزم:

– وأعتقد أن علاقتك بالعمل هنا قد إنتهت من هذه اللحظة.

تحركت ببطء وهى تلمم بقايا توازنها وشتات إحساسها بالمهانة
والضآكة.. والظلم.

استدارت لتطوى صفحة بدت ذات يوم مضيئة فى حياتها.. حملت معها
التخلص من مخالب الفقر والاحتياج من خلال راتبها الشهرى وتحقيق هدف
حياتها بالحصول على الماجستير.

استدارت إلى عالم مجهول لا تعرف مصيرها داخله، ولا تحمل معها إلا
مشاعر الخوف والقلق.. والرعب من مفاجآت الزمن.

١٤

الليل موحش، والظلام دامس كئيب ومخيف، النجوم رحلت عن الأفق لا
شئ غير خواء السكون، وأصوات مريبة كالصفيح، وكأن الأشجار تتهامس
في رعب ما الذى يحدث فى هذا الكون المبهم.. و..

هيام تجلس خلف النافذة تطل إلى ذلك الفراغ المتناهى قبيل ظهور
بشائر الفجر بسويغات قليلة.

كانت تمسح السماء بنظرتها الحائرة، وكأنها تبحث عن حقيقة ما قد
تفوقعت فى أعماقها وهى تغوص فى شرنقة قاسية من الغموض والتساؤلات
المريرة واللقطة التى بلا أم أو أب أو عائل يتولى محاولة الكشف عن ذلك
السر المبهم الذى طال الانتظار كثيراً لكى تجيب عنه الحياة نفسها ولياليها
فى عمرها المتوتر المغمور فى الشجن والحزن والألم.

تساءلت فى صمت!!

لماذا أنا؟! وأين الحقيقة.

أين الخطأ وأين الصواب!!

جيهان تحقق ما تريد بالرغم من بشاعة تصرفاتها.. حققت الحب والثراء
والقوة.. حددت هدفها وعرفت الطريق الذى تخطو عليه اكتسبت ثقة الجميع
بالرغم من تكوينها النفسى الغادر.. أحمد فهمى تضى عن كل شئ من

أجلها، باع الحب بثمن أرخص من ذرة التراب، وألقى بإرادته إلى عمق أحضانها وهو مستسلماً وسعيداً تدغغ الطموجات كل جوارحه وكيانه.

وشريف سالم لم يحاول أن يجادلها بل صدق كل أقوالها تحت تأثير المبررات الكاذبة التي طرحتها عليه.. فكذب الحقيقة بإرادته وصدق الأكاذيب أيضاً بإرادته.

ما هذا السحر الذي تملكه جيهان شقيقتي؟!

استطاعت أن تستحوذ على والدنا وعلى ثروته وثقته، وحاصرته بالمنطق الكاذب حتى أصبح كالملحد الذي لا يؤمن بأى شيء غير أنه الأقوى والأقدر والأصوب.

ما هو سر تملكها تلك القدرة المبهمة والتي تتعامل بها مع الآخرين؟!

كيف استطاعت أن تفوز بمساندة عمها العجوز وحسام الحائر الذي حاول على استحياء أن يتخلص من سطوة الأحداث حوله.. ولكنه فشل ولم يستطع أن يتصدى بقوة لكل الاحتمالات التي قد تحتل الصدق أو الخداع.

كيف استطاعت بكل سهولة أن تتجرد من مشاعر البنوة والإحساس بالانتماء لوالدتنا أو لى أنا شخصياً، فعلت ذلك وكأنها تتخلص من أحمال ثقيلة قد تعوق خطواتها فى اتجاه تحقيق أهدافها.

أغمضت جفونها للحظات، لعلها تجد جديداً فى خيالها، ولكنها عادت مقهورة تتصفح سطح السماء المظلم.

وردت فى همس إلى نفسها.

لا بد أنها الأصوب!!

أنا بالحب فقدت من كنت أتوهم حبه.. وفقدت وظيفتى.

وهى بالفراسة وفهمها للعالم حقت الثراء والقوة!!

أنا بالحنان والانتماء فقدت هويتى كإنسانة وأصبحت كاللقيفة بالرغم من
تواجد الأب والأم ولكن كلاهما لم يحاولا إنقاذى سواء عن عدم قدرة أو عمداً.

هى الأصوب.. لأن الآخرين يصدقونها حتى فى أكاذيبها، وأنا يكذبوننى
حتى فى مشاعرى.

لماذا لا أصبح مثلها.. وأقتدى بأسلوبها!؟

لماذا لا أذهب إليها لكى ترشدنى إلى الطريق الصواب.. لكى تنقذنى من
تلك الدوامات اللامتناهية!؟

سأذهب إليها لكى أستعيد كبريائى ومشاعر الأبوّة التى سلبتها منى
الليالى الغادرة دون ذنب اقترفته.

سأذهب إليها باكية ومتوسلة لعلها تغفر لى خطيئتى بتمسكى بكل
القيم والمبادئ الهشة التى ألقى بى فى ذلك البئر المظلم وأصبحت وحيدة
وضعيفة.. و.. تافهة.

لم تنتظر طويلا بعد أن بدأ الفجر يزيح الظلمة من الأفق، وكأنه يعلن
تأييده لأفكارها الجديدة.

نعم.. سأذهب لمن أدركت حقيقة حياة الدنيا.. سأستعطفها لكى تغدق
علينا بالمال مقابل أن أمنحها كل إرادتى وأصبح طوع بناها فى أى شىء.

لعلنى أنا أيضا أحقق كل ما أريد!!

بدأت ترتدى أبهى ملابسها، وتتجمل بمساحيق المكياج وكأنها ذاهبة لليلة عرسها.
وقفت أمام المرأة العريضة تتأمل نفسها وقوامها وملامحها. وعادت
تهمس قائلة:

.. قد يكون مناسباً أن يحن الوقت لأن تقوم تلك الملامح الجميلة بدورها..
وتأثيرها على الآخرين.. قد يكون مناسباً أن أستثمر تلك الإمكانيات الآن!!
.. مؤكداً هذا الجمال سيكون مقابلة الثراء والقوة والثقة والمكانة..

سأصبح أكثر ثراء من جيهان.. لأننى الأجمل والأذكى والأكثر علماً والأطيب
ملامحاً وهذا سيمهد عواطف الآخرين لى.

و..خرجت إلى الطريق بعد أن أشرق صباح غير كل صباح عليها.. وما
كادت تخطو عدة خطوات قليلة حتى فوجئت بما لم يكن فى حساباتها نهائياً.
وجدت حسام عامر فى انتظارها داخل سيارته.

ناداها عندما حاولت أن تتجاهل النظر تجاهه.. فاستدارت مضطربة
واستقلت السيارة بجواره.

لاحظت شحوب وجهه وارتباك نظرتة. ولامح الحزن الشديد الذى افترس أساريره.
وقبل أن يتفوه بحرف واحد.. بادرتة قائلة بثبات:

- انصت إلى جيداً يا حسام.. فأنت قد تكون أكثر خيرة منى فى أمور
كثيرة، ولكن ذلك لا يمنع أن نعترف بإخطائنا.. فأنا وأنت لم نكتشف حقيقة
الدنيا ولم نعطاها قدر حقها وسطوتها على كل خطواتنا.. أنا وأنت مؤكداً كنا
نعيش فى وهم وبوهم اسمه الوجدان والمشاعر النبيلة.. أنا وأنت

ولكنه قاطعها بنبرة يملؤها الحزن:

- لا داعى للحديث الآن فى مثل هذه الأشياء.. فأنا أتيت إليك أحمل نبأ غير سار ومؤلماً لنا جميعاً.. و..

قالت بتهكم:

- أعرف ما الذى تريد أن تقوله وتخبرنى به.. أعرف أنك جئت لكى تلقى بمبرراتك أمامى.. وتصف مدى معاناتك وقلة حيلتك فى مواجهة الصعاب التى ستحاصرك أو حاصرتك بالفعل، وكل هذا بسببى.. أليس كذلك؟!
أجاب وهو مضطرب:

- الأيام ستثبت لك أننى ما أحببت أحداً فى حياتى مثلما أحبك الآن..

أحبك وأنا لست وإهماً بذلك الحب.. لأننى أحببتك بكل حواسى منذ أن رأيتك لأول مرة.. ولأنك كنتى تعيشين فى وجدانى منذ بدأت أسمع عنك وعن قصتك.. فأنا أحببتك بخيالى أولاً وبواقعى أيضاً فيما بعد.
قالت وهى شاردة:

- مضطرة أن أذكرك بأن الحب وحده لا يكفى.. ماذا سيفعل الحب أمام قهر الفقر، وتخلى الجميع عنا؟ ماذا سيفعل لنا الحب ونحن لا نملك حتى إرادتنا.. القوة الغاشمة لا تواجه بالدموع أو سهر الليالى.

الأحلام حتماً ستتحول إلى كوابيس أمام إحساسنا بالعجز.. أنا طردت من عملى ووظيفتى، وتخلت عن استكمال دراستى.. وفقدت مودة الآخرين واهتمام حتى أمى.. وأنت لا تملك تقريباً قوت يومك دون مساعدة أبيك أو

عمك.. فماذا بظنك ممكن أن يفعله الحب إذا ما صدقناه أو سعينا إليه.

وبلا مقدمات، وكالصاعقة التى تنتهم أقوى الأبدان.. والأعاصير التى تقنلع أغنى جذور الأشجار العتيقة، والسيول التى تجرف فى طريقها كل ما هو يظن أنه ثابت.

قال فى مفاجأة مدوية بحزم:

- الشرطة أقت القبض على شقيقتك جيهان وصدقها أحمد فهمى!!

صرخت بحق:

- ماذا قلت.. ماذا تقول!?!

- سأعيد عليك النبأ.... أقول لك أن الشرطة قبضت على جيهان وأحمد
بتهمة الاتجار بالمخدرات والانتماء لعصابات المافيا فى الخارج والداخل.

- أنت مؤكد تهزى أو جننت فجأة.

همس وكأنه يحدث نفسه:

- والدك سيأتى غدا.. وسوف أصطحبه من المطار

تمتت مرعدة:

- والدى سيحضر.. ولكن.. أختى.. أين أختى الآن

ضغط بأسنانه على فكيه.. ثم أجاب منكسراً:

- جيهان قيد التحقيق الآن.. وقد علمت بالخبر بعدما اتصلت بنا منذ ساعات.

فقدت السيطرة تماماً على اتزانها، وانطلقت جاهشة فى بكاء أقرب إلى

العويل وهى تردد بهيستيريا:

- لا يمكن أن تفعل جيهان هذا.. إنهم مخطئون.. قد يكون أحمد فهمى
السبب لأنه جشع وطماع.. جيهان أختى بريئة.. و..
قاطعها بهدوء:

- علينا مواجهة الأمر الواقع.. الحقيقة تقول إن أختك متهمة بتلك الجريمة
وستنال حتماً العقاب على ذلك الفعل.
قالت وهى شبة منهارة:

- ماذا سأقول لأمى.. كيف سأخبرها.. وماذا سنفعل لجيهان!!?
- سنرى ماذا يمكن أن يفعله أبوك.. حتماً سيستعين بمحامين كبار فى
هذا التخصص.

رددت وهى فى ذهول حقيقى:

- ماذا سأفعل.. ماذا سأفعل!!?

و.. تركت السيارة دون أن توجه إليه كلمة واحدة.. واتجهت فى طريق
عودتها إلى منزلها.

وبمجرد عودتها إلى داخل الشقة، بدأت تتخلص من ملابسها بصورة
فوضوية ثم اتجهت إلى حجرة الاستحمام ووقفت داخل البانيو وأسقطت
المياه بغزارة فوق جسدها العارى وغمرت المياه شعرها حتى التصق بكل
وجهها، وراحت تغتسل بقوة وكأنها تزيل عن كيانها ذلك الشوك السام الذى
شعرت به يخترق مسامها بعنف.. بدت وكأنها تمسح عن كيانها هذا الوحل

الوهمى الذى جال لعدة سويحات داخل أعماقها ولوث كل نبضة فى وجدانها..
واختلطت دموعها مع قطرات المياه المتدفقة كالشلال، وكأنها ترغب فى أن
تظهر من خلالها ومن خلال ندمها وليس من خلال مياة الاستحمام.

وبعد دقائق ارتدت ملابسها العادية، وألقت بجسدها فوق الفراش وسلطت
نظرتها إلى سقف الغرفة واخرقتها بخيالها وكأنها تطلق بصرها إلى عنان
السماء والأفق البعيد.

وردت بنبرة مسموعة:

.. اغفر لى يا إلهى.. اغفر لى يا إلهى. وأعوذ بك من شيطان الخطيئة
وشرود العقل.

واستسلمت للنوم على ضوء النهار.. وكأنها تنشد النعاس وهى آمنة من
هواجس الليل وهى فى أحلام يقظتها.

١٥

الإحساس بالزمن عند خديجة وهيام قد توقف، بالرغم من أن الليالي كانت تتوالى بسرعة مذهلة مع أحداثها.. ليال مظلمة.. كان الصمت الكئيب هو المسيطر على حياتهما فى تلك الفترة، لا شىء يجمع بينهما سوى دموع الحسرة والحزن والصدمة بعدما فوجئنا بنياً القبض على جيهان فى جريمة أبعد ما تكون عن خيالهما.

مشاعر الأمومة طغت على أحداث الماضى حتى كادت أن تمحو من الذاكرة تماماً، فلم تعد خديجة تفكر فى أى شىء سوى أنها سوف تفقد ابنتها وربما إلى الأبد كما فقدت انتماء جيهان لها فى السابق.. الأمومة تحدث الظلم والتهور والغضب استدعت فقط كل اللهفة والقلق والشوق لابنتها الغائبة بكت كما لم تبك فى حياتها وكأنها هى السبب فيما حدث لفتاتها عديمة الخبرة عن قسوة الحياة.

بينما استسلمت هيام لسيطرة الذهول الذى أرخى بسدولة على كيانها كله.. فقدت القدرة على التفكير فى الماضى أو التعايش مع الحاضر أو ترقب ما يمكن أن يحدث فى المستقبل.

وكان هيام باتت تتعايش مع الأشباح فقط، مجرد كيانات ليس لها ملامح.. حاولت أن تتسول المغفرة أو التسامح مع مشاعرها تجاه جيهان ولكنها فشلت بكل قسوة، وفى الوقت ذاته رفضت بشدة أى خاطر يحاول أن يخترق

وجدانها ليذكرها بغدر أحمد فهمى أو جفاء وتسلبت شقيقتها.

خديجة وابنتها هيام أصبحتا وكأنهما يستقلان سفينة وسط المحيط بلا قبطان فأسلما حياتهما مجبرين لكلمة القدر.

بينما جاء صفوت عامر من غربته ليحشد أكفأ المحامين ليتولوا الدفاع عن ابنته الوحيدة بالنسبة إليه.. ولكنه اضطر إلى أن يشرك أحمد فهمى أيضاً فى تلك المحاولة للدفاع عنه من أجل جيهان، وهو فى حقيقة الأمر يحاول أن يثنى المتهم الثانى عن إصراره بأن جيهان هى المديرية الأولى وهى الوحيدة التى تعاملت مع هؤلاء الرجال الغرباء الذين استلموا المخدرات أثناء وجودها. ولذلك اضطر صفوت عامر أن يوفر له حماية الدفاع عنه مقابل أن يصمت عن ثرثرته وإصراره.

كان عامر يدرك تماماً أن الثمن سوف يكون غالياً.. وهو حياته.. فالمافيا لن تتركه يورط رجالها ولن تتركه يهنأ بثروته أو بما تبقى من عمره.

ولكنه أصر على تلك المواجهة بعد أن تحدث مشاعر أبوته كل ما يمكن أن يلاقيه من عواقب وخيمة قد تبطلع فى جوفها كل مراحل حياته السابقة التى عاشها وهو يفاخر بقوته وبثروته وبذكائه الحاد الذى أوصله إلى تلك المكانة الاجتماعية هناك كأحد رموز رجال الأعمال المغتربين فى السويد.

كان يعلم ذلك.. ولكن.. ما لم يكن يعلمه ولا يتوقعه هو ما أفشى به حسام ابن أخيه إليه، بعد أن أخبره بالحقيقة كاملة بالنسبة للظلم الذى وقع على زوجته خديجة سواء من خلاله أو من غدر الزمان.. وحدثه عن هيام ابنته التى تعنت بجبروته فى أن يعترف ببثوتها له سنوات طويلة مضت.

كانت الصدمة عظيمة بعدما اكتشف كل الأكاذيب التي كانت تنقلها إليه جيهان بلا رحمة أو إحساس.. فغيرتها المدمرة سيطرت عليها للدرجة التي هان عندها كل شيء، فضحت بسمعة أمها وأكدت عنده اليقين بأن زوجته خائنة ولا تزال تمارس خيانتها، وحرمتها أيضاً من أن يتراجع عن موقفه تجاه هيام شقيقتها الوحيدة.

وكان القدر أراد أن يعاقبه بنفس مشاعر الأبوة التي تخلى عنها في الماضي بكل بلادة وفتور وقسوة وخيلاء السفهاء أراد أن يعاقبه بمشاعر الأبوة التي تحولت إلى هوة ساحقة استقرت في أعماقه وأشعلت في باطنها لهيب الندم والحزن والقهر.

من أجل ذلك استسلم دون مقاومة أو تفكير لقرار ابن أخيه حسام بأن يرافقه للذهاب إلى منزله القديم الذي هجره ظلماً منذ سنوات طويلة. قرر أن يذهب إلى خديجة زوجته البريئة لعلها تغفر له خطيئته معها وتخفف عليه لهيب الندم.

لعل ابنته هيام تستجيب لمبرراته التي أسقطه فيها تهوره وظنه السوء بزوجته كان أمه وهناً وهشاً ولكنه لم يكن يستطع مقاومة تلك الفرصة خاصة بعدما أكد له الأطباء في السويد منذ عدة أشهر بأنه أصيب بالمرض الخبيث واحتمالات علاجه مضمية ولكنها ليست مستحيلة.

وذهبا إلى حيث تعيش الذكريات!!

وهناك.. شهقت خديجة، مرددة إليه عندما رأته بالباب:

- أنت.. أنت!!

همس حسام لعمه قائلاً:

- تفضل يا عمى.. تفضل.

وما كاد صفوت عامر يخطو إلى منتصف الردهة حتى ثبت في مكانه متأملاً عندما وجد نفسه لأول مرة في حياته أمام ابنته الثانية هيام.. انحسرت كل مشاعره في نبضة قلب واحدة.. رأى كل ما يمكن أن يراه.. في لحظة واحدة وموقف منفرد.

رأى الجمال الأخاذ الذى تميزت به عائلته.. وملامح هادئة ونظرات مسالمة.. رأى الكيان الذى حاول الماضى أن يسحقه من ذاكرته من قبل أن يراه. الكيان البريء الذى تحمل جرائمه وطغيانه بلا ذنب اقترفه ذلك الكيان الرقيق.

رأى الماضى وهو يتابع لحظة انكساره وانهاره.

قال بصوت خفيض متساءلاً:

- أنتى هيام.. أليس كذلك؟!

أجابت بهدوء مثير:

- نعم أنا تفضل بالجلوس.

و.. جلس الجميع فى مواجهة بعضهم البعض.

قال حسام بطيبة:

- لقد أخبرت عمى بالحقيقة كاملة.

لم يعلق أحد.

فعاد يقول متوسلاً:

- نحن فى ظروف لا تسمح باستدعاء الماضى .. مهما كانت ملابساته .. أنا أردت فقط أن أفعل ما يمليه على ضميرى.

قالت هيام بثبات وهى تجيبه:

- أنا أعرف حقيقة مشاعرك النبيلة.

تدخل صفوت عامر قائلاً بصدق:

- وأنا أيضاً أعرف أنني ضيف ثقيل غير مرغوب فى وجوده .. ولكن. لم أستطع مقاومة رغبتى فى الحضور إلى هنا .. مهما واجهت من صعوبة ذلك اللقاء.

قالت خديجة بنبرة حزينة:

- هذا منزلك فى كل حال.

التفت نحوها بنظرة رضاء .. فى الوقت الذى غابت هيام مع نفسها وهى تتأمل ملامحه .. ملامح أبيها الغائب عن المكان و.. الوجدان.

انتبهت للشبه الكبير الذى يربط بين ملامحهما.

فوجئت به يسألها قائلاً:

- كيف حالك يا هيام .. علمت انك تعدين لرسالة الماجستير .. وعلمت أيضاً أن الجميع يقدرونك وأنتك تحصدين كل الحب من الجميع .. ولكنى لم أكن أعلم وأتوقع بأنك بهذا القدر من الجمال والحسن والروعة.

تدلت ابتسامه باهته فوق شفيتها.. ثم قالت بجرأة:

- أشكرك على مجاملتك.

قالت خديجة بحزن وبنبرة أقرب إلى البكاء:

- ماذا أنت فاعل بشأن ابنتنا جيهان!!؟

أجاب بسرعة:

- لقد استعنت بأكبر محامى البلد.. وأتمنى أن تنقذ من هذه الكارثة..

وسوف أفعل المستحيل فى سبيل ذلك.

رددت بحس أمومتها:

- أرجو ألا تبخل عليها بأموالك الطائلة!!

أسقط نظرتة إلى الأرض وهو يقول بألم:

- المقابل ليس مالاً.. ولكنه حياتى.. و..

راح يسرد عليهم قصته منذ بداية رحلته مع الغربة، وكأنه أراد أن ينتهز تلك

الفرصة لكى يجد لدهما صدى للغفران أو التسامح.. حكى كل شىء وكأنه

يملى مذكراته على جهاز تسجيل.. وفى النهاية توقف برهة ثم قال بصدق:

- جئت بعد أن حولت ثروتى إلى هنا.. لأواجه مصيرى مع الموت وقرينه..

إما بالمرض.. أو بالاغتيال!!!

ثم صمت فى سكون متوتر، وهو يتربقب أية همسة من أحد.

وكانها صاعقة فاجأت الجميع وحصدت أنفاسهم فى مباغنة رهيبه..

تحدثت هيام وقالت بفتور مدهش:

- كنت أتمنى أن أواصل جلستى معكم.. ولكنى للأسف الشديد مرتبطة بموعد هام فى عملى.

و.. نهضت منصرفه إلى الخارج، بعد أن ألجمت الصدمة ألسنتهم.

لم تستطع وهى فى الطريق أن تتحكم فى مدامعها التى راحت تنزرف بغزارة فوق وجنتيها حتى وهى تستقل السيارة الأجرة التى سوف تنقلها إلى مقر عملها، الذى اتخذت قرارها بأن تذهب إليه بدافع من رغبتها الحقيقية.

طرقت باب مكتب شريف سالم ودخلته، وقبل أن يتفوه بأية كلمة.

لاحقته قائلة:

- جئت إليك كابنة وليس كسكرتيرة.

ظل صامتاً فى وجوم.. فأردفت:

- والسدى جاء من الخارج بعد أن علم بالحقيقة.. التى سوف أخبرك بها

وأنا راضية..و..

أخبرته بكل شىء.

نهض من وراء مكتبه واقترب منها على بعد عدة خطوات ثم قال بصوت يشبه الأنين:

- أنا أعتبرك كابنتى منذ أن رأيتك من اللحظة الأولى.. ليست سكرتيرتى كما تعتقدين.

وبصدق شديد أرادت أن تكافئ هذا الرجل النبيل بأن تسعده بذكرياته مع

الماضى البعيد.

فقلت على استحياء:

- ابنتك فى حاجة إلى أحضانك.

وبلا تردد أفرد لها ذراعية وهو ينظر إليها بحنان.. فاندفعت نحوه
لتحتضنه بلهفة وهى تواصل نحيبها، بينما راح هو يقبلها من رأسها ويربت
على ظهرها برفق وحنان وهو يردد:

- نعم أنتى إبنتى التى تذكرينى بأغلى ما فى وجودى بالرغم من رحيلها
عن حياتى أما أنتى فمكانك لم يرحل عن قلبى وذكرياتة أبداً.

تراجعت بخطوة وهى تمسح دموعها بأطراف أصابعها.. وتمتمت:

- لا أعرف ماذا أفعل!!!

قال بهدوء:

- ما سوف تفعلينه سوف تفرضه عليك الأقدار غداً.. أما اليوم يا سكرتيرتى
العزيزة.. إنهبى إلى مكتبك ولا تنسى إننا فى مقر الشركة.

أجابت وهى تحاول الابتسامة:

- مهما كانت أحكام الأقدار.. فحضرتك ستظل من أقرب الناس الى قلبى

وعقلى ووجدانى.

قال ضاحكاً:

- إنهبى الآن قبل أن أتخذ قراراً بفصلك من العمل.. و..

اشتركا فى لحظة مشاعر صادقة.. وانصرفت هى إلى مكتبها.

عندما تموت المشاعر، وتتشرنق داخل غربة الوجدان، يصبح من المستحيل أن تنبض بالحياة مرة أخرى، حتى ولو زالت عنها كل المؤثرات والمسببات التي أدت إلى وأدها.. فالحب إحساس ينبض بكل تناقضات المشاعر الإنسانية، فهو شديد التمرد وغزير الحنان.. لديه سطوة خارقة للتحمل واللين وأيضا للعصيان.. الحب هو المعنى الحقيقي للحرية، يخلق بها كما يشاء وفي أى زمان ومكان، ويرحل بها بقدرة تفوق أى سيطرة عليها. هو الحاكم بأمره على القلوب والوجدان، قد يصفح وهو مظلوم وقد يغدر وهو ظالم.. هو صاحب القرار فى تواجهه ولا أحد يملك إستدعائه دون إرادته.

ولذلك بدت عودة صفوت عامر وكأنها لم تكن.. الغربة باتت وكأنها حائط صد صلب حال دون اختراق أية تغيرات نفسية أو حسية لدى خديجة كزوجة سابقة وهيام كابنة حصلت على شرعية بنوتها فكان تأثيرها كالذى ينال أرفع الأوسمة بعد وفاته.

وارتضى صفوت عامر بإرادته وبدونها أن ينال جزاءه من حكم القدر عليه وأحاطه بنسمات الفتور من كل غريب وقريب، أصبح بين الجميع كيان يتحرك بعيدا عن نطاق المعايضة وكأنه ظل يظهر ويخبو فوق رمال النسيان المتحركة التى تتربص لالتهامه فى جوفها عند أى لحظة هو على يقين بأنها آتية بلا ريب.

حاول التقرب إلى هيام فى عدة لقاءات منفردة داخل المنزل وخارجه. كان صادقاً فى محاولاته ولكنه أيضاً كان يشعر وكأنه يتحاور مع صورة زيتية تتحرك كالجغرافيك على شاشات التكنولوجيا.. أعاد على مسامعها رحلته مع الغربية، وكيف خدعه فوران الشباب وتأمرت عليه غيرته الشديدة على والدتها.. عدد أمامها كل المبررات التى استند عليها عندما تبرأ من بنوتها.. طالبها بالغفران.. لم تقبل ولم ترفض.

فقط همست إليه قائلة فى إحدى لقاءاتهما:

- أنا ليس لدى أى مبررات أقولها لك.. ولكنى سأكتفى بأن أخبرك بحقيقة واقعى.. وسأترك لك الحكم.. وأيضاً التصور لما يمكن أن يكون.. أنا جئت للحياة وأنا أحمل على كاهلى الضعيف ذلك الإحساس المؤلم، وهو اليتيم من الأبوة.. ثم أخذتني سنوات عمرى فى مرحلة الطفولة والشباب إلى فاجعة عدم اعترافك ببنوتى.. سقطت بين رضى الظلم القاسى، ما بين موقفك وبين خيانة أمى الزائفة.. لم أعد أدرك كيف سأواجه مصيرى مع عمرى المتبقى.. هل أنا ابنه شرعية حقاً؟ ومن هو أبى الحقيقى!! وماذا عن خيانة أمى التى ألفت بى إلى ملجأ ضحايا الأبرياء.. كنت أشعر بالمذلة كثيراً.. وبالظلم يمتص رحيق شبابى طويلاً.. تابعت أختى جيهان وهى تنعم بأحضانك وأبوتك، وتابعتها أيضاً وهى تمعن فى إنزالى أنا وأمى. والآن تطالبنى بالغفران.. فما رأيك أنت؟!!

أجاب وهو منهك القوة:

- عزائى الأقوى والوحيد.. هو أننى وأمك قد ظلمتنا الأقدار أو خدعتنا الأحداث..

ويقيني بأن الخالق هو أرحم الراحمين.. وهو الذى يغفر للإنسان كل خطايا..
فكيف يكون شئنا مع خطايانا أمام بعضنا البعض كبشر.. أنا لا أطلبك بالحب
أو الانتماء لى بقدر رجائي بأن تغفرى فقط خطيئتى غير المتعمدة.

قالت بصدق شديد:

- الله قادر على كل شىء.. وعالم الغيب.. ونحن لا نملك غير ترقب ما
سوف تأتى به الأحداث والمشاعر من تغييرات.. حسب إرادته أيضاً.. و..

وقبل أن يعقب على كلماتها.. استطرقت قائلة:

- هل يمكننى أن أطلب منك طلباً.

أجاب مسرعاً:

- أنتى تأمرى يا ابنتى.. فكل طلباتك مجابة بلا تردد.

قالت بحسم:

- أريد أن التقى بأختى جيهان أنا وأمى.. و.. أحمد فهمى بمفردى!!

مضت لحظة صمت كئيبة.. ثم قال بهدوء:

- إنهما قيد التحقيق الأولي.. وسأسعى لتحقيق رغبتك مهما كان الثمن.

لم ينتظر صفوت عامر طويلاً، وطلب من مجموعة المحامين أن يمهّدوا

لتلك اللقاءات بشكل قانوني.

وبعد مرور عدة ليال غير طويلة، أتاها مبتهجا ليخبرها هى ووالدتها

بموعد تلك اللقاءات كما أرادت.

كان لقاء جيهان مع والدتها وهيام مثيراً ومفجعاً ومؤلماً.. كان بكائها متواصلًا في نحيب يمزق القلوب، وشاركتها خديجة في ذلك الانهيار الوجدانى وهما يتعانقان في لحظة غابت عنها كل معانى الكلمات.. كان البكاء هو المسيطر وكأنه بمدامعه يرفع عن مشاعرهم كل تراكمات أحداث الماضى من ذكريات أليمة أو سعيدة.. كانت الدموع هى الحقيقة الوحيدة التى جمعت بينهم جميعاً.

والتفتت تجاه هيام ورددت من وسط نحيبها:

- سامحيني يا أختى. سامحيني يا هيام.

ضمتها هيام إلى صدرها وهى تقول بحنان صادق:

- والدك يؤكد أن الحكم سيكون مخففاً.

شعر صفوت عامر فى تلك اللحظة وكأن سكيناً حاداً قد اخترق أضلعه بعدما ترامى إلى مسامعه كلمة.. والدك.. وليس والدنا.. ولكنه سرعان ما تماسك بحنكة سنوات عمره.. وقال مؤيداً:

- نعم فجميع المحامين أكدوا لى ذلك.. ونحن جميعاً بجانبك يا حبيبتى.

و.. فى اللقاء الثانى كان الأمر مختلفاً عند لقاء هيام بأحمد فهى منفردين حيث تأملته قليلاً فى لحظات مبهمة المعانى.. وهمست إليه متساءلة:

- لماذا يا أحمد.. لماذا فعلت بنفسك ذلك؟!!

بدا ثابتاً ومستسلماً لليأس ولمصيره المجهول.. وأجاب بهدوء شارد:

- أنا ظلمت نفسى وظلمتك.. ولا يحق لى الاعتراض على الظلم الذى أشعر

به الآن.. وكل ما يمكن أن أخبرك به هو.. أننى برىء يا هيام.. وأقسم لك أننى برىء من تلك التهمة.

رددت وكأنها تهمس إلى نفسها:

- برىء من ظلمك لى.. أم من ظلمك لنفسك!!؟

تأملها بنظرة لا حياة فيها، ثم فاجأها بطلب إنهاء تلك المقابلة.
وانصرفت عنه.

وكان الجميع لم يعد لديهم ما يقولونه.. لا شىء سوى الانتظار القاهر.. وكأنهم بلا ذكريات يستدعونها فى لحظات التأمل وبلا آمال يتوقعون حدوثها، ولا حاضر يتعايشون معه.. فقط أنفاس تتلاحق من الصدور، وعيون لا ترى إلا الغيوم والضباب.. أصبحوا كوريقات الشجر التى تتدلى من أغصان الحياة، كل منهم ينتظر أن تسقطه رياح الخريف أو تخدعه نسمات الربيع.
وفى لحظة فاترة وباردة فوجئت خديجة فى مساء أحد الأيام بما لم يكن فى حساباتها مطلقا عندما جاء لزيارتها صفوت عامر برفقة شقيقه الأكبر وولده حسام.

استقبلتهم بوجوم غير إرادى، وكان الأخ الأكبر صاحب المبادرة فى الحديث قائلاً لها بتلثم طبيعى:

- أنا أعلم بأن الظروف لا تسمح بسبب مجيئى إلى هنا.. ولكن لأسباب فرضتها الأقدار، كان لابد أن أبادر بتلك الزيارة.

قالت بنبرة فاترة:

- أنا لم أغلق بابى فى وجه أحد من قبل.

تلقت صفوت كأنه يبحث عن شىء ما.. ثم همس على أستحياء:

- هل هيام موجودة.. أريدها تحضر ذلك اللقاء.

أجابت بلا اهتمام:

- هى فى عملها الآن.

تدخل الأخ الأكبر وتوجه إليها قائلاً بصوت منهك وضعيف:

- أعتقد بأن من حقه أن يرد إليك اعتبارك.. ولقد تحملت مشقة الحضور

إليك كى أعزز ذلك الموقف.. لعلنى أساهم فى تصحيح أخطاء الماضى وأن

أنال رضاك.

شملتهم جميعاً بنظرة اندهاش واحدة.. ثم قالت مستفسرة:

- أنا لا أفهم مقصدك من هذا الحديث!!

عاد صفوت يقول وهو متحمساً:

- أريدك أن تقبلى رجائى بأن أعيدك إلى عصمتى.. من أجلك ومن أجل

بناتنا.. و.. قاطعته بحزم:

- ما هذا الهديان الذى تقوله!!!

قال وهو يحاول أن يبدو متماسكاً:

- من حقه أن تنفريين من مطلبى.. ولكن.. قد تعيدنين التفكير فى تغيير

موقفك عندما تعلمين الدافع الحقيقى لوجودى الآن هنا.. و..

حاولت أن تتكلم، ولكنه استوقفها بإشارة من يده.. ثم أردف قائلاً:

- أرجوك استمعى لى فقط.. فأنا كما تعلمين مريض بمرض قاس.. فلقد أصبت بأورام خبيثة فى رأسى.. ومضطر أن أجرى العملية الجراحية غداً بالمستشفى، ولا أعرف إن كنت سأحيا بعدها أم سأرحل عن الدنيا.. ولهذا أردت أن أعطيك حقك فى ثروتى لعلنى بذلك أرفع عنك بعض الظلم الذى لحق بك بسبب تهورى.

تدلت ابتسامة على طرف شفيتها بدت وكأنها تبصق على وجهه.. ثم أجابت بكل ثبات واستياء واضح:

- هذا شأنك مع إبتنتيك.. أما أنا فلست جزء منك.. ولا أحمل لك حتى الذكريات. أنكس رأسه قبل أن يرمق حسام بنظرة سريعة، وكأنه يتوسل إليه أن يتدخل فى الحديث.

ولكنه فوجئ به يقول بارتباك:

- يا عمى نحن جميعاً نتمنى لك الشفاء.. وأن تتخلص من هذا المرض اللعين. ولاحقه الأب مردداً:

- كنت أعلم أن الأمر سيكون مستحيلاً.. ولكنها محاولة منا على الأقل.

قالت خديجة بهدوء مثير:

- نعم أتمنى لك الشفاء من مرضك الخبيث.. ولكن يجب أن تعلم جيداً أن هناك جراحاً قد لا تدمى ولكنها أقوى وأقسى من الأمراض المستعصية.. فهى جراح لا شفاء منها لأنها داء يلانزنا حتى لحظة الفناء.

حرك رأسه مؤكداً فى انكسار شديد.. وقال وهو يتأبط ذراع أخيه متأمباً للانصراف:

- عندك كل الحق.. فالجراح التى لا تدمى لا سبيل من شفائها.

وانصرف الجميع تصحبهم لحظات صمت متوترة كالزلال.

وقبل أن تغلق الباب من خلفهم.. قالت خديجة بتوود:

- يا حسام.. اخبر هيام بموعد العملية ومكان المستشفى فهذا من حقها.

التفت إليها قائلاً بحب:

- بالطبع سأفعل.. سنكون معاً أنا وهى.

كانت هيام تعلم أنها ستواجه قرارات ومواقف كثيرة تحتاج إلى وقفة

صديقة مع ذاتها.. فالأحداث من حولها تتلاحق كأمواج البحر الهادر.. والواقع

بات وكأنه تضائل أمام الغيوم والضباب المبهم.. كأنها فى رقاد يقظ تبصر

من خلاله حركة الليالى وهى غير قادرة على الحراك.. أو اتخاذ أى قرار لم

يعد أمامها غير ملائها الأخير لكى تستعين بخبراته وأبوته الحنونة.. فكان

لقاؤها مع شريف سالم الذى حدثته هى بإرادة وجدانها.

دخلت إلى مكتبه وبادرته قائلة:

- أنا فى احتياج شديد لمشورتك.

قال مع ابتسامته الهادئة:

- وأنا هنا.. من أجل ذلك.

راحت تسرد إليه كل التفاصيل الأخيرة.

بأن أباهما الحقيقي بالمستشفى ينتظر الموت بين اللحظة والأخرى كما أخبرها حسام ابن عمها.. وبأن والدتها رفضت العودة إلى عصمة زوجها، وحسام يلاحقها برغبته الصادقة فى الارتباط بها كزوجة له.. وبأنها مرعوبة من مصير جيهان الذى قد ينهى شبابها وراء قضبان السجن.. وبأنها أيضاً تعاني من دوار القلق أمام ثروتها المنتظرة التى وعددها والدها بها.. وكيف سيكون موقفها.. هل ترفض؟ أم تقبل!!

و.. أردفت:

– أنا حائرة يا أستاذى العظيم من أمور كثيرة.. لا أجد لها تفسيرات مقنعة.
قال بثبات:

– ما هى.. أنكريها لعلنى أستطع معاونتك.

قالت بلهفة:

– حائرة من موقف أمى ورفضها عرض أبى.. بالرغم من أنها أثبتت براءتها أمامه، وأثبت هو كيف لعب به شيطان الغيرة والتهور.. وفى الحقيقة كلاهما فى نظرى يستحق العطف والاعتناء بمبرراتهما.

وحائرة من موقف أبى تجاهنا، خاصة أنه لم يعد من أجلنا ولكنه عاد فقط لإنقاذ جيهان.. وأيضاً من غرابة تغيره الكبير فى مشاعره نحونا.. فأنا لا أستطيعا استيعاب ذلك المنطق.. وهل هذا ممكناً ومقبولاً؟.. و.. حسام أيضاً. لقد انشطرت مشاعرى تجاهه إلى شطرين دون إرادتى الشطر الأول يمثل بالنسبة لى أنه جزء من ماض أبغضه كأحداث وليس كأفراد.. والجزء الثانى

هو تحت قبضة سلطان الحب العنيف.. فأنا أحبه بصدق.

بأسارير شاحبة، وملامح واجمة.. أجاب شريف سالم بنبرة شاردة:

– يبدو أنه قد حان الوقت لتعلمي الحقيقة كاملة!!

رددت باندعاش:

– أية حقيقة.. أتعرف شيئاً غامضاً بالنسبة لى؟!؟

أجاب بوقار شديد:

– نعم أعرف.. ما لا تعرفينه أنت وآخرون أيضاً.

واستطرد بثقة:

– أنا شريف سالم.. ابن خالة والدتك.

تهاوت هيام فوق المقعد. وكأنها تسقط داخل بئر بعد أن ارتطمت رأسها بحجارته.

وهمست بصعوبة متساءلة:

– كيف؟!؟

– قبل أن أذكر لك أى شىء.. دعيني أولاً أن أقسم بالله العظيم أن كل

حرف سأذكره لك.. هو الحقيقة ولا شىء سواها.

ظلت صامته فى زهول.. فأردف مسترسلاً:

– أنا لم أر والدتك منذ تلك الليلة المشؤومة والظالمة.. ولم أسمع صوتها

منذ وفاة خالتها، إلا مرة واحدة منذ عدة سنوات.. و..

صمت برهة ثم قال:

- منذ تعيينك هنا فى شركتى.. هى لاحظت حرصك الشديد وشغفك الكبير لتحصيل المزيد من العلم، فأرادت أن تضع قدميك داخل مكان أمين يتيح لك فرصة تحقيق ذلك ويوفر لك المال بكرامة والجهد أيضاً.. فأوصتنى عليك ولم يكن أمامى غير تنفيذ تلك الوصية بكل عرفان وتقدير. وحاولت معك بكل السبل أن أتخلص من إحساسى بالعذاب نتيجة لذنوب وجرم لم أرتكبه.. وظلمت فيه أنا وأمك المحترمة ولكن كل ذلك لم يشفع لذلك العذاب الذى عشت فيه من أننى كنت طرفاً مباشراً فى تفكك أسرتم الكريمة. لقد عشت سنوات طويلة، أحاول أن أتعلل مع نفسى بأننى لست مسئولاً عما حدث.. ولكنى.. فشلت فشلاً ذريعاً للتخلص من ذلك الإحساس الكئيب الذى بلا شك كان يتعايش مع أمك.. إلى أن جاءت زيارة جيهان لى وقالت ما قالت.. فخشيت أن تتكرر المأساة معك من جديد وتنال من سمعتك ظمناً وبهتاناً.. ففصلتك من العمل.. والمثير حقاً هو وكأن الأقدار قد وضعتك فى طريقى منذ البداية لتعيدى لأحاسيس الماضى البعيد نبضها، ورأيت الشبه غير العادى بينك وبين زوجتى ومحبوبتى فى حياتى كلها. ولذلك كنت أعيش مع ذكرياتى الجميلة فى ظل وجودك الواقعى أمامى.. فكنتى ابنتى التى لم أنجبها وأحببتها، وكنتى أيضاً ذكرى الوفاء والعشق مع زوجتى الراحلة.. فاتفقنا أنا ووالدتك العظيمة، أن نخفى الأمر عن الجميع.. خاصة أنها كانت تشعر دائماً بتباين الأفكار والسلوك بينك وبين جيهان.. وأيضاً من أجل ألا نحى صدى الماضى من جديد ونتذكر الظلم الذى وقع علينا أو نستعيد عذابات الظنون والشكوك من جديد.

قالت ببراءة:

- هذا يثبت تفسير صدق إحساسى الغريب نحوك منذ أن رأيتك.

ابتهج لرد فعلها.. وأسرع يقول بسعادة:

- هذا يعنى أنك تصدقيني فعلاً!!

- أنا أصدق إحساسى الذى يدفعنى لكى أصدقك..

قال بتودد:

- إذن يجب أن تنفذى كل ما سيقوله خالك الجديد.. الذى هو أنا.

- أنت لست بخالى فقط.. أنت أروع معانى الوفاء والكبرياء.. و.. الحب أيضاً.

قال بجدية:

- اذهبى إلى والدك بالمستشفى.. لعلك تخففين عنه عذاب الشك وقسوة المرض.

أجابت بسرعة:

- بالطبع سأذهب إليه، وسأظل بجواره فى تلك المحنة، ليس بسبب

ظروفه المرضية فقط، ولا من أجل أن أواسيه لموقف أمى.. ولكنى سأفعل

ذلك لأنه أبى شئت أو لم أشأ.

ردد وهو مبتهجاً:

- إذن اتصلى بحسام واذهبى معه إلى والدك.. لكى يبارك علاقتكما المستقبلية.

رمقته بنظرة دهاء.. وتساءلت:

- ماذا تقصد يا خالى.. ولماذا حسام!!!

أجاب بحب:

– لأن حسام هو الإنسان الوحيد الذى أطمئن معه عليك فى مشوار حياتك القادمة.. إنه يحبك بصدق، وهو يستحق كل مشاعرك من حب وتقدير لرجولته وشهامته.. وإصراره عليك أيضاً مهما كان الثمن.

قالت بدلال راق:

– لقد تعلمت من أفاصيص التاريخ، أن الفتاة يجب أن تطع خالها فى كل ما يريد.. ووضع قبله فوق جبينها قبل أن تنصرف من أمامه.
واتصلت بحسام لكى يلحق بها عند بوابة المستشفى فأخبرها بأنه موجود منذ أمس.
وعند بوابة المستشفى أسرعته نحوه وهى سعيدة، ولكن سعادتها سرعان ما انطفأت عندما لاحظت الحزن والوجوم فوق ملامح حسام.. وبادرت به لهفة قائلة:

– ماذا بك يا حسام!!؟

أجاب بأسى:

– عمى توفى فجر اليوم قبل أن يجرى العملية:

رددت بلا إرادة:

– أبى.. أبى مات.

عاد يسترسل:

– لقد أخبرنى محاميه صباح اليوم، أن عمى تنازل عن كل ممتلكاته وثورته لأمك بصفتها والدة ابنتيه وكأنه أراد أن يكفر عن ذنبه الذى لم يرتكبه

عمداً ولكي يرد الاعتبار للسيدة الجليلة والدتك أمام نفسها وأمامنا جميعاً.

قالت بتأثر واضح:

- هي تستحق أكثر من ذلك.. ولكن.. عجباً على الأقدار التي تميت
الإنسان فجأة دون أن يعرف الحقيقة كاملة عن حياته، ولست أدرى هل هي
نقمة أم نعمة!!!

قال بتؤدة وعلى غير المتوقع:

- هيا نذهب لخالك لنخبره بما حدث.

التفتت نحوه مشدوهة:

- كيف عرفت بمسألة خالي؟!:

لم يستطع التحكم في ابتسامته فطفرت على طرف شفثيه وهو يقول:

- والدتك العظيمة أخبرتني بكل شيء، بعدما تأكدت هي من حبي

الجارف لك، وأرادت أن نبدأ حياتنا بشفاافية ووفاء.

- إذن هيا إلى خالي.. و.. يا زوج المستقبل وحبي الأخير.

تمت

الإصدارات الروائية للأديب أحمد فريد

١٩٧٢	نشرت فى ليبيا	همسة وداع
١٩٧٣	نشرت فى ليبيا	الشك
١٩٧٥	نشرت فى ليبيا	خطوات بلا طريق
١٩٧٦	مطبعة النهضة بالقاهرة	نبضات لا تموت
١٩٨٠	دار غريب بالقاهرة	الحب وحده لا يكفى
	فترة التفرغ	ممر الذئاب - ثلاثة أجزاء
١٩٨٢	دار غريب بالقاهرة	دعنى أحاول
١٩٨٣	دار غريب بالقاهرة	عندما يبكى الرجال
١٩٨٤	دار غريب بالقاهرة	لا تدمرتى معك
١٩٨٥	دار غريب بالقاهرة	يا صديقى كم تساوى
١٩٨٧	دار غريب بالقاهرة	لن تسرق حبنى
١٩٩٠	دار غريب بالقاهرة	سامحنى يا حب
	فترة التفرغ	الحب الكبير - ثلاثة أجزاء
١٩٩٤	دار قباء بالقاهرة	هو منتهى الحب
٢٠٠١	دار قباء بالقاهرة	عمر عمرى
٢٠٠٢	دار قباء بالقاهرة	كذبت عليك فصدقنى
٢٠٠٤	دار قباء بالقاهرة	يا أنا لا ترحل عنى
٢٠٠٥	دار قباء بالقاهرة	حب بلا مأوى
٢٠٠٦	دار قباء بالقاهرة	الحب بعد المساومة
٢٠٠٧	دار قباء بالقاهرة	لآلىء الوحل
٢٠٠٨	دار قباء بالقاهرة	من يشتري عمرى
٢٠١٠	الدار المصرية السعودية	لا تعاقبنى يا حب
٢٠١١	دار قباء الحديثة	مشاعر مفترسة
٢٠١٤	دار العزازى	لا تحزننى يا غالية

- دار قباء أعادت طبع جميع الأعمال الروائية.
- حصل على جائزة مهرجان القاهرة السينمائي عام ١٩٨٢ عن أحسن قصة لفيلم «الحب وحده.. لا يكفى» إخراج على عبدالخالق.
- ترجمة رواية «الحب.. وحده.. لا يكفى» ورواية «عندما يبكى.. الرجال» إلى اللغة الصينية.
- تمت ترجمة رواية «هو منتهى الحب» إلى الإنجليزية.
- صدرت الطبعة الثالثة من رواية «هو منتهى الحب» فى كتاب الجمهورية.

※ الأعمال التى تحولت إلى أفلام سينمائية:

- «الحب وحده.. لا يكفى».. إخراج على عبدالخالق - سيناريو وحوار «مصطفى محرم».
- «عندما يبكى.. الرجال».. إخراج حسام الدين مصطفى.. سيناريو «مصطفى محرم» وحوار «بهجت قمر».
- «لا تدمرنى معك» إخراج محمد عبدالعزيز.. سيناريو وحوار «أحمد صالح».
- «يا صديقى كم تساوى».. إخراج يوسف فرنسيس.. سيناريو وحوار «يوسف فرنسيس».
- عضو اتحاد الكتاب منذ بدايته.
- عضو نادى القصة.
- عضو الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما.
- عضو رابطة الأدب الحديث.